بستان الخطيب

الجزء الثالث عشر

الدكتور أمير بن محمد المدري

مكتبة خالد بن الوليد صنعاء

الطبعة الأولى

1447 - 1448 هـ / 2026 م

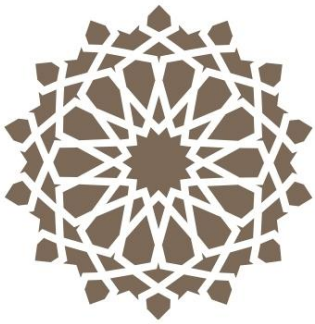

الحقوق محفوظة لكل مسلم

«١٤٤٧-١٤٤٨/ ٢٠٢٦م»

الطبعة الأولى

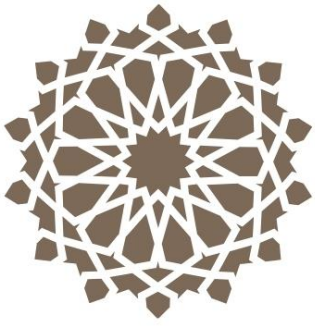

وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا

المحتويات

المقدمة ٥

أبو هريرة رضي الله عنه ٧

التهيئة الروحية لاستقبال رمضان ١٨

اسم الله الستير ٢٨

الأمانة ٣٨

الإنترنت ووسائل التواصل ٥٠

الباقيات الصالحات(١) ٦٠

الباقيات الصالحات الحمد (١) ٧٠

الباقيات الصالحات الحمد (٢) ٧٩

الباقيات الصالحات التسبيح (١) ٨٧

الباقيات الصالحات التسبيح (٢) ٩٣

التعاون ١٠١

الشهادة والشهداء ١٠٩

حُرمة التهجير في الإسلام ١١٩

خُلق الوفاء (١) ١٢٩

خُلق الوفاء (٢) ١٣٩

مواطن الندم والحسرة في الدنيا والآخرة ١٥٢

المغضوب عليهم في القرآن والسنة ١٦٢

وقفات في أول جمعة من رمضان ١٧٣

عيد الأضحى ١٤٤٥هـ ١٨٣

ختاما... ..... ١٩٢

المقدمة

الحمد لله الذي علمنا البيان، ويسّر لنا القول، وجعل في الكلمة الطيبة بركة ونفعاً. والصلاة والسلام على نبينا محمد، المعلم الأول، والقدوة الأسمى، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فالخطبة ليست مجرد كلام يُقال على المنبر، بل هي رسالة تحمل الهدى، وتُصلح القلوب، وتُبيّن الحق من الباطل، وهي وسيلة مهمة لتوجيه الناس، وتنبيه الغافل، وتذكير الناسي، وتشجيع المحسن.

وها نحن نقدم لكم الجزء الثالث عشر من سلسلة «**بستان الخطيب**»، الذي جاء ليضيف الجديد من الموضوعات والمعالجات التي تهم الخطيب والمجتمع. فقد حرصنا فيه على أن تكون المادة واضحة، والمفاهيم سهلة، والأسلوب قريباً من الناس، مع الحفاظ على أصالة المضمون وعمقه.

إن الخطيب الناجح هو من يجعل خُطبته قريبة من واقع الناس، تتحدث عن همومهم، وتعالج مشاكلهم، وتُرشدهم إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم. وهذا الجزء يأتي ليعينه على ذلك، بتقديم أفكار متنوعة، وموضوعات شاملة.

وإننا لنرجو من كل خطيب أن يستفيد من هذا العمل، وأن يضيف إليه من خبرته واجتهاده، فالكتاب وسيلة، والإبداع من الخطيب نفسه. كما نرجو من الجميع أن يدعوا لنا بالقبول والتوفيق، وأن يرسلوا إلينا ملاحظاتهم واقتراحاتهم لتطوير هذه السلسلة.

والله نسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، وأن ينفع به الخطباء والمسلمين، وأن يجعله في ميزان حسناتنا يوم القيامة. وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

أبو هريرة رضي الله عنه

الحمد لله، الحمد لله المنتصر لأوليائه، المنتقم من أعدائه، المتفرد بعظمته وكبريائه، المقدس بصفاته وأسمائه، لا يعزب عنه مثقال ذرة في أرضه ولا سمائه، أحمده على ما أسبغ من نعمائه، وأسبل من عطائه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدخرها ليوم لقائه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خاتم أنبيائه، وصفوة رسله وأمنائه.

ذاك الذي اختاره الباري وأرسله.....برًّا رؤوفاً رحيماً بالمساكينِ

صلى عليه الإله البر ما صدحت.....قُمرية فوق أغصان البساتينِ

وآله الغرِّ والأصحاب كلِّهمُ.....وتابعيهم ليوم الحشر والدينِ

أمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللهَ- عباد الله - حقَّ التَّقْوَى؛ وراقبوه وفي السر والعلن.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢]

أيها الإخوة الكرام:

إن مما يحيي الله به القلوب، وتُشحذ به الهمم، وتُشد به العزائم: تذاكر وقراءة والعيش مع سير الصالحين.

وإن سادة الخلق بعد الأنبياء والمرسلين هم أصحاب محمد ﷺ، إذ اصطفاهم الله واختارهم لصحبة خير خلقه، فآمنوا به، واتبعوا النور الذي أنزل معه، وجاهدوا في الله حق جهاده، وحفظ الله بهم كتابه وسنة نبيه ﷺ، فبلغوه لمن جاء بعدهم كاملاً غير منقوص، فـرضي الله عنهم وجزاهم عن الأمة خير الجزاء.

وإن من أعلام الصحابة وساداتهم علماً وحفظاً، وعبادة وزهداً، وسماحة وكرماً: الصحابيَّ الجليل [أبا هريرة رضي الله عنه]

إنه الإمام، الفقيه، المجتهد، المجاهد، العابد، الزاهد، صاحب رسول الله ﷺ، سيد الحفاظ.

أبو هريرة رضي الله عنه... ذلك الاسم الذي اقترن اسمه باسم رسول ربّ العالمين، لما له من كثرة الرواية وعلو الكعب في الحفظ والإتقان على الصحابة أجمعين. فقد روى ونقل إلينا -كما يقول بقي بن مخلد-: ((خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً))، اتفق البخاري ومسلم على ((٦٠٩ أحاديث))منها. فرضي الله عنه وأرضاه.

أبو هريرة رضي الله عنه لم يخلُ ديوان من دواوين الإسلام إلاّ واسمه فيه منقوش مرسوم، ولم يمضِ مجلس من مجالس الذكر والعلم إلاّ وكان لذكره نصيب معلوم، فدعوات المؤمنين له في كل عصر متوالية بالرضا والثناء والرحمات الغالية.

إنه ترجمان السنة وحافظها بلا منازع، كما كان عبد الله بن عباس ترجمان القرآن ومفسره بلا مدافع.

عباد الله:

ومن المفارقات العجيبة أنّه بقدر ما شُدَّت قلوب المؤمنين إلى محبة هذا الصحابي الجليل، بقدر ما اشتد عداء الكفار والمنافقين وأفراخهم من المستشرقين والمستغربين لهذا الرجل الأصيل، فراحوا يُشوِّهون صورته المشرقة بالأساطير والأكاذيب، ويصفونه بالغفلة والبله والميل إلى المزاح والألاعيب، بل نسبوا إليه الكذب فيما روى من أحاديث الصادق الأمين، وتعجبوا من حفظه هذا الكم الهائل من الأحاديث مع قلة السنين مع النبي الأمين.

لكن أهل الإيمان لا ترجفهم أقاويل المفترين، ولا تصرفهم عن محبة أبي هريرة تُرهات الممترين، لأنّهم بفضله ومناقبه عارفون عالمون، وبشرف الدفاع عنه مكافحون منافحون.

هل يضر البحر أمسى زاخرًا * أن رمى فيه غلامٌ بحجر

أيها المؤمنون:

أبو هريرة ﷺ كان في الجاهلية يُسمى ((بعبد شمس))، كما ترجم له البخاري في تاريخه، ولما جاء الإسلام غيَّر اسمه، لأنّه لا يجوز تسمية إنسان بأنّه عبد فلان أو عبد شيءٍ من الأشياء، وإنّما هو عبد الله فقط، فسُمي ((بعبد الرحمن))

وأبو هريرة من قبيلة ((دوس))، وهي قبيلة يمانية قحطانية مشهورة، فهو يماني يلحقه شرف اليمن وشرف أهلها. فهو (عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني)، معروف النسب، شريف المعدن.

وسبب تكنيه بهذه الكنية سبب لطيف ظريف، فقد أخرج الحاكم بسند صحيح عن أبي هريرة ﷺ قال:

إنّما كنوني بأبي هريرة، لأني كنت أرعى غنماً لأهلي، فوجدتُ أولاد هرة وحشية فجعلتها في كمي، فلما رجعت إليهم سمعوا أصوات الهر في حجري، فقالوا: ما هذا يا عبد شمس؟ فأنت أبو هريرة، فلزمتني بعدُ»

أيها الإخوة:

وقد نال أبو هريرة ﷺ شرف دعوة النبي ﷺ له، فقد أخرج البخاريّ في التاريخ الكبير بسند رجاله ثقات أنّ أبا هريرة ﷺ قال:

(قلت يا رسول الله: ادعُ الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم حبب عبيدك هذا -يعني أبا هريرة- وأمّه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين». قال: فما من مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني).

والله إننا لنحبه، وندافع عنه، ونرجو الله أن يجمعنا به في الجنة.

وكان أبو هريرة من جملة الذين مدحهم الله في كتابه، وأمر نبيه بالجلوس إليهم والصبر معهم، قال تعالى:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨].

وهؤلاء هم (أهل الصفة)، والصفة موضع مظلل في شمال المسجد النبوي يأوي إليه أصحاب رسول الله ﷺ ممن لا منزل له، وأكثرهم من المهاجرين الفقراء، وفضلهم مشهور لا يُنكر، وأبو هريرة منهم.

وهكذا نرى أن الفضل قد تتابع لأبي هريرة: لصحبته، ولهجرته، ولدوسيته، ويمانيته، ونيله دعوة الرسول ﷺ، وشهادة القرآن له. -فتبا وسحقاً لمبغضيه ومعاديه-.

وقد نشأ رضي الله عنه يتيماً، وهاجر مسكيناً كما يقول عن نفسه، وتأخر قدومه إلى النبي ﷺ، وأسلم سنة سبع في غزوة خيبر، ومات النبي ﷺ في السنة الحادية عشرة للهجرة، فكانت مدة صحبته للنبيّ ﷺ (أربع سنين تقريباً)، لكنها أربعٌ مباركات، لازم فيها النبي ملازمة تامة.

انظروا كيف بارك الله في هذه السنين! فالعمر ليس بطوله ولكن بآثاره. كم هي أعمارنا؟ ماذا قدمنا لديننا؟ ماذا قدمنا لآخرتنا؟

أما حرصه على العلم يقول أبو هريرة رضي الله عنه:

قال لي النبي ﷺ يوماً: ألا تسألني من هذه الغنائم التي يسألني أصحابك؟ قال: فقلت له: يا رسول الله، أسألك أن تعلمني مما علمك الله» .

فلم يكن لأبي هريرة في الدنيا مطمع، بل كان همه الآخرة، والآخرة خير وأبقى.

كان يقول ﷺ: «إنّ إخواني المهاجرين كانت تشغلهم التجارة، وإخواني من الأنصار كانت تشغلهم الزراعة، وكنت امرأً مسكيناً من مساكين الصفة، ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون» .

وقال يوماً: (يا رسول الله، إني أسمع ما تقول فأنسى).

فقال له: «افتح كساءك»، فبسطه، ثم قال له: «ضمه إلى صدرك»، فضمه، فما نسي حديثاً بعده قط).

إذاً: حفظ أبي هريرة الأمر فيه معجزة للنبي ﷺ.

ولقد أمّن عليه الصلاة والسلام على دعاء أبي هريرة ﷺ حين قال: «اللهم إني أسألك علماً لا يُنسى» ، فقال النبي ﷺ: «آمين»

لقد ظل أبو هريرة ﷺ يُحدّث الناس (سبعاً وأربعين سنة) بعد وفاة النبي ﷺ، على مرأى ومسمع من كبار الصحابة والتابعين، ويبلغ الآخذون عنه والناقلون عنه -كما ذكر ذلك البخاري- (ثمانمائة من أهل العلم).

ومن حرصه على العلم أنه كان كثير السؤال للنبي ﷺ.

قال له يوماً: (من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟

قال: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث. أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً مخلصاً من قلبه» .

عباد الله:

لقد عانى أبو هريرة ﷺ بسبب انصرافه للعلم وانقطاعه لمجالس رسول الله ﷺ ما لم يعانه أحد من الجوع وخشونة العيش، روى البخاري (٦٤٥٢) عن أبي هريرة أنه كان يقول:

«والله الذي لا إله إلا هو، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله -ما سألته إلا ليستتبعني- فمر ولم يفعل، ثم مر بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله -ما سألته إلا ليستتبعني- فمر ولم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآني، وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: يا أبا هرّ، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: الحق، ومضى فتبعته، فسقاني لبناً».

وعن أبي هريرة أيضاً قال: «لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة ﷺ مغشياً علي، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي، ويرى أني مجنون، وما بي من جنون، ما بي إلا الجوع». [رواه البخاري]

ولم يكن أبو هريرة ﷺ يندفع للعلم وكثرة الرواية ويتأخر عن العمل به، بل ضم إليه الخشية وكثرة التعبّد.

فقد كان يسبح في اليوم (اثنتي عشرة ألف تسبيحة)، قالوا: لماذا؟ قال: (لأن ديتي اثنا عشر ألف درهم). كان له خيط فيه ألف عقدة فلا ينام حتى يسبح. ﷺ، كم نصيبك يا عبد الله من التسبيح؟

وأخرج البخاري وأحمد عن أبي عثمان النهدي أنه كان ﷺ يقسم الليل أثلاثاً: يصلي ثلثاً، ثم يوقظ زوجته فتقوم ثلثاً، ثم الخادم. ، كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون.

وكانت لأبي هريرة جارية زنجية فأساءت إليه وغمّت أهله، فرفع السوط عليها ليضربها به، ثم توقف وقال: «لولا القصاص يوم القيامة لأوجعتكِ كما آذيتينا، ولكن سأبيعُكِ ممن يوفيني ثمنك وأنا أحوج ما أكون إليه... اذهبي فأنت حرة لله ﷻ».

وكان أبو هريرة ﷺ يحب أهل بيت النبي ﷺ ويحث الناس على حبهم.

روى أحمد في مسنده (٧٨٧٦) وابن ماجه (١٤٣) بسند صحيح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني» -يعني حسناً وحسيناً. وقد روى ونقل إلينا كثيراً من الأحاديث النبوية في فضائل آل البيت.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد: ما زلنا وإياكم مع الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه

أما أمه فهي صحابية اسمها: (ميمونة بنت صبيح رضي الله عنها)

روى مسلم (٢٤٩١) وأحمد (٨٢٥٩) والحاكم (٤٢٤٠) عن أبي هريرة قال:

«إن أمي كانت امرأة مشركة، وإني كنت أدعوها إلى الإسلام وكانت تأبى علي، فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادعُ الله أن يهدي أم أبي هريرة. فقال رسول الله ﷺ: اللهم اهدِ أم أبي هريرة. فخرجت مستبشراً بدعوة نبي الله ﷺ، فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مجاف، فسمعت أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء، فاغتسلت ولبست درعها وخمارها، ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح، طفح السرور علي حتى إنني من عظم ما قد سرني أبكاني».

يـــا عـــين ســـار الـــدمع عنـــدك عـــادة * تبكـــين في فـــرح وفي أحـــزان

ومن بره بأمه: قال سعيد بن المسيب: (بلغنا أن أبا هريرة لم يكن يحج حتى ماتت أمه، لصحبتها).

ومن بره بأمه أيضاً: ما أخرجه ابن سعد بسند صحيح عنه أن النبي ﷺ أعطاه تمرتين، قال أبو هريرة: (فأكلت تمرة وجعلت تمرة في حجري، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة، لم رفعت هذه التمرة؟ فقلت: لأمي، فقال: (كلها، فإنا سنعطيك لها تمرتين).

وكان إذا خرج من بيته أو دخل سلم عليها ودعا لها، ويقول: «السلام عليكِ، رحم الله كما ربيتيني صغيراً»، فتقول له: «وعليك السلام، رحمك الله كما بررتني كبيراً، وقضى ربك».

وكان ﷺ حريصاً على تربية أولاده، فقد ربى ابنه (المحرر) تربية علمية جعلت كبار الرواة يحتاجون إليه ويروون عنه ما فاتهم من حديث أبيه كالشعبي والزهري.

وكانت ابنته تقول له: (يا أبتِ، إن البنات يُعيّرْنَني فيقلن: لم لا يُحلّيكِ أبوك بالذهب؟! فيقول: يا بنية، قولي لهن: إن أبي يخشى عليّ حر اللهب). ﷺ وأرضاه.

وكان أبو هريرة ﷺ آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، معلماً للناس الخير.

فقد دخل السوق مرة والناس مشغولون بالبيع والشراء فناداهم قائلاً:

«يا أهل السوق، ما أعجزكم!»

قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: «ذاك ميراث رسول الله ﷺ يُقسم، وأنتم هاهنا ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟» .

قالوا: وأين هو؟ قال: «في المسجد» . فخرجوا سراعا إلى المسجد، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: «ما لكم؟»

قالوا: يا أبا هريرة، أتينا المسجد فدخلنا، فلم نر فيه شيئاً يُقسم. فقال لهم أبو هريرة: «أما رأيتم في المسجد أحداً؟» قالوا: بلى، رأينا قوماً يصلون، وقوماً يقرءون القرآن، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام. فقال لهم أبو هريرة: «ويحكم، فذاك ميراث محمد ﷺ» .

[رواه الطبراني في الأوسط]

عُمّر أبو هريرة إلى الثمانين، ولما مرض مرض الموت بكى، فقيل له: (ما يبكيك يا أبا هريرة؟) فقال: «أما إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكني أبكي لبعد السفر وقلة الزاد، لقد وقفت في نهاية طريق يفضي بي إلى الجنة أو النار، ولا أدري في أيهما أكون» .

ومات ﷺ، فرحمة الله على أبي هريرة: معلماً وهادياً، ومجاهداً وداعياً، وآمراً وناهياً، ورائحاً وغادياً، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً، وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

[الأحزاب:٥٦]، اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...

التهيئة الروحية لاستقبال رمضان

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

يا ربي حمدًا ليس غيرك يُحمد، يا من له كل الخلائق تصمد أبواب كل مملكة قد أوصدت، ورأيت بابك واسعًا لا يوصد من الذي سألك فما أعطيته؟ ومن الذي دعاك فما أجبتَه؟ ومن الذي حاربك فما خذلتَه؟ علاّم الغيوب، غفّار الذنوب، ستّار العيوب، كاشف الكروب، مقدّر المكتوب، جلّت أسماؤه وصفاته، في السماء ملكه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر عظمته، وفي الجنة رحمته، وفي النار سطوته وعذابه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربّي لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيّه من خلقه وخليله، بلّغ البلاغ المبين، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين. اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

أما بعد: فيا عباد الله:

أوصيكم ونفسي- بتقوى الله، فهي العروة الوثقى، والزاد في الدنيا والآخرة. قَالَ تَعَالَى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢]

رمضان يقترب.. فهل قلوبنا مهيأة؟

أيها المؤمنون: لم يبقَ بيننا وبين رمضان إلا أيام معدودة. انظروا وتأملوا كيف تمرّ الأيام، وكيف تنطلق الشهور والأعوام، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

يا أيها الكرام، رمضان أقبل... أفلا نشمّ روائحه؟ أفلا تهبّ علينا نسائمه قبل أن تطوى أيام شعبان؟ إن للخير رائحة، لا يشمّها إلا قلبٌ حيّ، ولا يحسّ بها إلا من صفا باطنه. وقد أخبرنا نبينا ﷺ أن رائحة الجنة تُشمّ من مسيرة أربعين سنة، فدلّنا ذلك على أن للخير أثرًا، وللطاعة عبيرًا، وللقرب من الله نَفَسًا وحلاوة يُدركه الصادقون.

في غزو أحد عندما اضطربت صفوف المسلمين، وسمع بعضهم أن النبي ﷺ قد قُتل، قال أنس بن النضر كلمات خالدة تعبّر عن يقينٍ عظيم:

"يا سعد بن معاذ، الجنة وربِّ النضر! إني أجد ريحها من دون أُحد".

كان السلف الصالح يستقبلون رمضان قبل قدومه بقلوبٍ مشتاقة، يدعون الله ستة أشهر أن يبلّغهم رمضان، فإذا بلغوه دعوه ستة أشهر أن يتقبل منهم. كانوا يشعرون بقدومه قبل هلاله؛ لأن قلوبهم تعوّدت أن تشمّ رائحة المواسم، وأن تفرح بنفحات الرحمن.

فيا عبد الله، جدّد نيتك أن يكون رمضان هذا مختلفًا: توبة صادقة، وقربًا حقيقيًا من الله، لا عادة تتكرر.

عباد الله، إن رمضان ليس مجرد أيام تُعدّ، ولا ليالٍ تُحصى، إنه فيض من النور، وموسم من الرحمة، وباب مفتوح لمن أراد أن يُولد من جديد. شهر تُغفر فيه الذنوب، وتُستجاب فيه الدعوات، وتزداد فيه النفحات والخلوات مع رب الأرض والسماوات.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة:١٨٥]

ولكن... السؤال الذي يجب أن يهزّ القلوب قبل أن تهلّ الأهلة: هل قلوبنا مهيّأة لاستقبال هذا الفيض؟

يقول أهل التزكية: لا بدّ من التخلية قبل التحلية. فكيف نرجو أن يُمْلأ الإناء بالعسل وهو مليء بالأوساخ؟ وكيف نطلب طيب العطر، والثوب لم يُغسل من أدرانه وأوساخه؟ ولهذا، فإن أفضل ما تستقبل به مواسم الخيرات والنفحات: الإكثار من الاستغفار.

أوزار الذنوب وقيد المعاصي

عباد الله ، لماذا يدخل علينا رمضان فنشعر بثقل في الصدر؟ لماذا تمرّ الأيام والليالي والتراويح والقيام... ولا نجد لذة، ولا خشوعًا، ولا حلاوة، ولا دمعة؟ الجواب واضح، لكنه موجع: إنها القيود الخفية، إنها الذنوب، إنها الأوزار.

رأيت الذنوب تميت القلوب * وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب * وخير لنفسك عصيانها

إنها ذنوب لا يراها الناس، لكنها ثقيلة عند الله، ذنوب تُرتكب في الخلوات، في ظلمة الليل، وفي وحدة الهاتف، حيث لا عين تراك... إلا عين الله.

جاء رجل إلى الحسن البصري يشكو ثقل قيام الليل وصلاة الفجر، فقال له بكلمات تقصم الظهر: «قيّدتك ذنوبك». نعم، قيّدتنا ذنوبنا. ندخل سباق رمضان ونحن نحمل على ظهورنا أوزارًا تكسر الظهر، كما قال ربنا جلّ وعلا: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣﴾ [الشَّرح:٣]

تأملوا معي هذا المشهد: لو وضعنا المتسابقين على خط البداية، ثم أخذنا أحدهم، وحمّلناه عشرين كيلوغرامًا على ظهره، ووضعنا في قدميه قيودًا من حديد، ثم قلنا له: انطلق! هل سيجري؟ والله لن يخطو إلا خطوات ثم يسقط، بينما الخفاف يسبقونه وهم يطيرون شوقًا. هكذا حال كثير منا مع رمضان. نريد القيام، نريد القرآن، نريد الدعاء، لكن الذنب يثقل الروح، والمعصية تقيد القدم.

وخطر الذنوب – عباد الله – ليس في كثرتها فقط، بل في الإصرار عليها، بل في ذنوب الخلوات... ذنوب هذا الزمان، زمان الهواتف التي لا تفارقنا، والله إن ذنوب الخلوات هي التي تحرم التوفيق، وهي التي تجعل الصلاة جسدًا بلا روح، والقرآن حروفًا بلا حياة. فيأتي رمضان ويغادر رمضان، ولم نستفد من خيراته ولا بركاته ولا نفحاته. فكم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا التعب والنصب.

فمن أراد أن يطير في رمضان، فليخفف الأحمال من الآن، ومن أراد أن يذوق حلاوة العبادة، فليفتح صفحة الصلح مع الله قبل أن يهلّ الهلال، وليتب مما يفعل. اللهم بلّغنا رمضان، وقد غُفرت ذنوبنا، وفُكّت قيودنا، وأُحيت قلوبنا.

إشارات الغيب وتنبيهات القلوب

إخوتي الأحبة... إن من أعظم دلائل رحمة الله بعباده أنه لا يتركهم يغرقون في الغفلة، بل يوقظهم بلطف قبل أن تأتي الصدمة. يرسل إليك رسالة توقظ القلب: آية تُتلى فتزلزل الفؤاد، مقطع فيديو عابر تهتزّ له النفس، أو رؤية صادقة يراها لك من يحبك أو تراها أنت في منامك. والله ما الرؤى التحذيرية إلا نفحات رحمة، وصيحات إنذار قبل فوات الأوان.

قد يرى الإنسان في منامه رمزًا يزعجه: ثعبانًا في غرفته، أو كلبًا في بيته، أو يسمع هاتفًا في المنام يحوّره... فلا يستهونّ بها. فهي ليست عبثًا، وإنما رسائل مشفّرة من الرحمن أن ترجع، أن تتوب، أن تعود إليه.

كان أحدهم يكرر عليّ أنه يرى ثعبانًا في غرفة نومه. فسألته: هل لديك مشاكل أو خصومات مع أحد؟ فقال: لا. ثم سألته عن حاله مع الصلاة، فأجاب أنه يصلي جميع الصلوات لكنه يؤخر صلاة الفجر. فقلت له: لعل في هذا المنام تذكير لك بالعودة إلى الله والمحافظة على الصلاة في وقتها. فاستجاب لذلك وحرص على أداء الفجر في وقته، وبعدها توقف عن رؤية ذلك المنام.

الكلب في المنام إن رأيته في البيت قد يكون إنسانًا سفيهًا يتدخل في حياتك ويفسد عليك دينك، وقد يكون خلقًا دنيئًا ألفه القلب حتى صار مقيمًا فيه، وقد يكون شيطانًا وجد ثغرة فاستوطن السكينة.

اسألوا أنفسكم بصدق: كم كلبٍ رمزي أو ثعبان رمزي يسكن بيوتنا اليوم؟ قد يكون غيبة لا يخلو منها مجلس، أو حسدًا يُطفئ نور القلب، أو حقدًا يأكل الحسنات، أو قطيعة رحم تحبس الدعاء وتمنع رفع الأعمال. قد يكون شاشة تُفتح في الخلوات، أو كلمة تُقال بلا خوف من الله، أو عادة نعلم أنها خطأ ونؤجل التوبة منها. إذا جاءك هذا التنبيه، فلا تفزع... بل احمد الله وبادر بالتوبة.

عباد الله : «إن من الخطأ أن ننتظر رمضان ليغيّرنا، بل نحن من يجب أن ندخل رمضان بقلوب مستعدة، صافية، ونفوس مهيأة زكية؛ حتى لا يمرّ علينا الشهر كما مرّ غيره.» نحتاج في رمضان – إلى ما هو أعظم من الطعام والشراب، وأغلى من المقاضي والثلاجات والمكيّفات. نحتاج إلى قلوب جديدة... قلوب سليمة، نظيفة، خالية من الأحقاد.

يا أخي، متى آخر مرة سلّمت على ابن عمّك؟ متى آخر مرة صافحت قريبك وجارك المقاطع له؟ ثلاث سنين... أربع سنين... وربما رمضان مضى ورمضان أتى، وما زال القلب مقفلًا، وما زالت القطيعة قائمة! كيف نرجو رفع الأعمال في رمضان، وقلوبنا محمّلة بالغلّ؟ كيف نرجو القبول، والخصام لم يُرفع منذ سنوات؟

والله إن بعض الناس يدخل رمضان الجديد، ورمضان الماضي ما زال موقوفًا، لم يُرفع، لم يُقبل... لماذا؟ لأن في القلب شوائب، وفي الصدر ضغائن، وفي العلاقات قطيعة.

يا إخوة، ارحموا أنفسكم... هذا الغلّ الذي في القلب أخرجوه، لا تجلسوا به، لا تغلقوا عليه الصدر. سامح... ولو كان ظالمًا. اعفُ... ولو كان مخطئًا. اصفح... ولو كان مقصّرًا، ولو كان قاسيًا. فإن أول أبواب الجنة لا يُفتح إلا لمن أتى الله بقلب سليم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء:٨٩]

فوالله، إن الله جلّ وعلا إذا رأى العبد يعفو عن الخلق، ويصفح عنهم، ويصل رحمه، عفا عنه، ومدّ في أجله، وبارك في عمره، وبارك في رزقه، وأصلح له ذريته. اللهم ارزقنا قلوبًا سليمة، واجعلنا من الواصلين، العافين، المقبولين.

باب الرجاء ونفحات رمضان

عباد الله ... إياكم والقنوط، إياكم أن يغلق الشيطان عليكم باب الرجاء، مهما عظمت الذنوب، ومهما تكررت العثرات، ولو كانت ذنوبكم إلى عنان السماء. اسمعوا نداء الرحمن وهو يناديكم نداء المحبين: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزُّمَر:٥٣]

لم يقل: يا أيها الصالحون، ولا يا أيها التائبون، بل قال: يا عبادي... أضافهم إلى نفسه وهو يعلم إسرافهم.

رمضان شهر العتق، شهر الكرم الذي لا يشبهه كرم. يُعتق الله فيه من النار كل ليلة، بل اسمعوا العجب: من أول ليلة. أول ليلة لم تجع فيها نهارًا، ولم تتعب بعدُ، ومع ذلك قد يكتب الله اسمك في ديوان العتقاء. لماذا؟ لأن الله لا ينظر إلى كثرة العمل فقط، بل ينظر إلى صدق القلب. نظر إلى قلب منكسر، إلى عين نادمة، إلى روح تقول: «يا رب... تعبت من الذنب، وأشتاق إليك». إن الله يصطفي، ينتقي، يختار من عباده من يقول لهم: حرّمت وجوهكم على النار. فلماذا لا تكون أنا وأنت منهم؟ رمضان فرصة لتكفير الذنوب.

يقول النبي ﷺ: «إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ، أَلَا فَتَعَرَّضُوا لَهَا، لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ تُصِيبَهُ نَفْحَةٌ فَلَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا». نفحة واحدة... دمعة واحدة... لحظة صدق واحدة... قد تغيّر مسار العمر كله.

تعرّضوا للنفحات بالوقوف على باب الله، بالانكسار بين يديه، بالإلحاح في الدعاء، بالجلوس في السحر وقلبك يقول: «يا ربّ، ليس لي غيرك». كن كالمسكين على باب الكريم، لا يملّ، لا يبرح، لا ينصرف، حتى يُغْدق عليه العطاء. فهذا رمضان موسم التجارة الرابحة، موسم من عرف قيمته ربح، ومن غفل عنه خسر.

يا عبد الله أخلِ القلب، هيّئ قلبك، نظّف نيتك، خفف أوزارك. لا تحتقر عملًا، ولا تستهن بطاعة. ركعتان خفيفتان قد يتمنى صاحب القبر لو عاد للدنيا من أجلهما، فما بالك بركعتين في رمضان؟ وما ظنك بدمعة صادقة في سحر، والناس نيام، والله قريب مجيب؟

يا أيها المؤمنون اغتنموا الموسم... فالعمر قصير، والباب مفتوح، والرب كريم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمدًا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون، اتقوا الله تعالى، فإن تقوى الله خير زاد، وأفضل متاع.

عباد الله، قبل أن أختم خطبتي، دعوني أرسل رسالة إلى من وكلوا بأمانة توزيع المساعدات، والصدقات، والهبات من الداخل أو من الخارج، سواء كانوا عقلاء حارات، أو مسؤولين، أو مشايخ، أو متطوعين.

يا من جعل الله في أيديكم حق الضعفاء والفقراء والمحتاجين، فوالله إنها أمانة عظيمة، وليست غنيمة، ولا وسيلة لمجاملة قريب، أو نصرة صاحب، أو إرضاء عصبيّة. اعلموا أن الظلم في توزيع المساعدات من أعظم الظلم؛ لأنه ظلم لضعيف، وأكل لحق فقير، وخيانة للأمانة التي سيسأل الله عنها يوم لا ينفع مال ولا جاه ولا نسب. قَالَ تَعَالَى:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النساء:٥٨]

من أعطى المساعدة لمن لا يستحقها محاباة أو عصبيّة أو قرابة، وحرم المستحق منها، فقد جمع بين: أكل السحت، وخيانة الأمانة، وظلم الضعفاء، والتجرّؤ على حق الله. ويا من تريد الرزق والنصر، تذكّر قول النبي ﷺ: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ».

إن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، ولو بعد حين. وقد تُفتح لك أبواب اليوم، لكنها قد تُغلق فجأة بسبب دمعة فقير أو حسرة محتاج.

فطوبى لمن عدل، وخاف الله، وأوصل الحق لأهله، وويل لمن خان الأمانة، وضيّع حقوق الضعفاء والمساكين. اللهم اجعلنا ممن يؤدون الأمانات، ويقسطون في الرعية، ويخافونك في الضعفاء والمساكين.

عباد الله، إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليمًا. اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وأذلّ الشرك والمشركين، ودمّر أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين. اللهم أصلح ولاة أمورنا، ووفّقهم لما تحب وترضى، وخذ بنواصيهم للبر والتقوى. اللهم بلّغنا رمضان، وأعنّا على صيامه وقيامه وتلاوة قرآنه، اللهم تقبّل منا صيامنا وقيامنا وصالح أعمالنا، واغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين أجمعين، وارحم موتانا وموتى المسلمين.

اسم الله الستير

الحمد لله، الحمد لله المنتصر لأوليائه، المنتقم من أعدائه، المتفرد بعظمته وكبريائه، المقدس بصفاته وأسمائه، لا يعزب عنه مثقال ذرة في أرضه ولا سمائه، أحمده على ما أسبغ من نعمائه، وأسبل من عطائه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدخرها ليوم لقائه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خاتم أنبيائه، وصفوة رسله وأمنائه.

ذَاكَ الَّذِي اخْتَارَهُ الْبَارِي وَأَرْسَلَهُ.....بِرًّا رَؤُوفًا رَحِيمًا بِالْمُسَاكِينِ

صَلَّى عَلَيْهِ الْإِلَهُ الْبَرُّ مَا صَدَحَتْ.....قُمَرِيَّةٌ فَوْقَ أَغْصَانِ الْبَسَاتِينِ

عَلَيْهِ سَلَّمَ رَبُّ الْعَرْشِ مَا ضَحِكَتْ.....مَبَاسِمُ الزَّهْرِ فِي ثَغْرِ الْأَفَانِينِ

وَآلِهِ الْغُرِّ وَالْأَصْحَابِ كُلِّهِمُ.....وَتَابِعِيهِمْ لِيَوْمِ الْحَشْرِ وَالدِّينِ

أما بعد: فيا أيها المؤمنون، أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فهي جماع كل خير، ومن اتقى الله وقاه وكفاه وحماه من كل شر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢]

عباد الله:

إخوة الإيمان، من أعظم ما يغذي شجرة الإيمان في القلب بفروعها المتنوعة من خوف ورجاء وإنابة ومحبة وتعظيم وتوكل: معرفة الأسماء الحسنى لله وعبادته بمقتضاها، إذ هي من أعظم ما يزيد الإيمان ويوهن كيد الشيطان. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]

إن لله سبحانه أسماءً هي من أحسن الأسماء، وصفاتٍ هي من أكمل الصفات. واليوم سنعيش مع اسم من أسمائه الحسنى، إنه اسم: الستّير. سبحانه هو الذي يحب الستر ويبغض القبائح، ويأمر بستر العورات ويبغض الفضائح، الستّير سبحانه يستر العيوب على عباده وإن كانوا بها مجاهرين، الستّير سبحانه يغفر الذنوب مهما عظمت طالما أن عبده من الموحدين، وإذا ستر الله عبداً في الدنيا ستره يوم القيامة.

تصحيح التسمية وأدلة الاسم

المشهور بين الناس اسم الله «الستّار»، والصحيح أنه ليس من أسمائه الحسنى الثابتة، وإنما هو الستّير. وقد ورد ذكر هذا الاسم في السنة النبوية في أكثر من موطن، ففي حديث يعلى بن أمية ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ رأى رجلاً يغتسل بالبراز، أي: إنَّه يَقِفُ عُريانًا مكشوفًا فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ، يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ» [رواه أبو داود وأحمد، وصححه الألباني].

صور ستر الله تعالى لعباده

أيها الناس، إن المتأمل في اسم الله الستّير يجد عظيم ستره على عباده، ومن أبرز صوره:

أولاً: أنه يرفع العقوبة عن العاصين، بل ويقيض لهم من الأسباب ما ينالون به ستره، ويفتح لهم باب التوبة والندم. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورى:٢٥]

، وَقَالَ عَزَّ شَأْنُهُ: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [التوبة:١٠٤]

ثانياً: أن العبد بطبيعته يقع في الذنب تلو الذنب، ويقارف المعصية تلو المعصية، وربه الرحيم يستره ولا يفضحه، ويمهله ولا يعاجله؛ إنه سبحانه الستّير على عباده.

وَهُوَ الْحَيِيُّ فَلَيْسَ يَفْضَحُ عَبْدَهُ * عِنْدَ التَّجَاهُرِ مِنْهُ بِالْعِصْيَانِ
لَكِنَّهُ يُلْقِي عَلَيْهِ سِتْرَهُ * فَهُوَ السَّتِيرُ وَصَاحِبُ الْغُفْرَانِ

وإذا تاب العبد توبة نصوحاً، فإن الستّير سبحانه يُمحي كتابةُ الملائكة وبقاع الأرض كلها خطاياه وذنوبه. هذا شأن الستّير، نعم التائب من الذنب كمن لا ذنب له. وما أمرك أن تتوب إليه إلا ليتوب عليك، وما أمرك أن تستغفره إلا ليغفر لك، وما سمى نفسه التواب والغفور إلا ليتوب عليك ويغفر لك.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه:٨٢]

ثالثاً: أنه لا يفضح العبد عند أول ذنب، ولكنه يمهله ويستره؛ لعله يتوب إليه ويستغفره. فقد روى ابن وهب بسنده عن أنس قال: «أُتِيَ عمر بن الخطاب بسارق، فقال: والله إنها المرة الأولى التي أسرق فيها، فقال له عمر: كذبت ورب عمر، ما أخذ الله عبداً عند أول ذنب، فقرَّره فاعترف أنها المرة العاشرة، فقطع يده».

رابعاً: أنه يكره من عبده إذا اقترف ذنباً أن يذيعه وينشره، فكما أن الله ستره وقت مقارفته له، فلا يهتك ستر الله عليه بالإعلان والمجاهرة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾ [الأعراف:٢٦]

يواري سوءاتكم: أي يستر عوراتكم، وسميت العورة سوأة لأنه يسوء صاحبها انكشافها. ولِباس التقوى ذلك خير: أي كما ستر ظواهرنا باللباس الظاهر، ينبغي أن نستر بواطننا بتعميرها بالتقوى والأعمال الصالحة.

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التُّقَى... تَقَلَّبَ عُرْيَانًا وَإِنْ كَانَ كَاسِيًا

وَخَيْرُ لِبَاسِ الْمَرْءِ طَاعَةُ رَبِّهِ... وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ كَانَ للهِ عَاصِيًا

سبحانه سترنا ولم يفضحنا، وأمهلنا ولم يؤاخذنا.

يَا مَنْ لَهُ سِتْرٌ عَلَيَّ جَمِيلُ * هَلْ لِي إِلَيْكَ إِذَا اعْتَذَرْتُ قَبُولُ

أَيَّدْتَنِي وَرَحِمْتَنِي وَسَتَرْتَنِي * كَرَمًا فَأَنْتَ لِمَنْ رَجَاكَ كَفِيلُ

وَعَصَيْتُ ثُمَّ رَأَيْتُ عَفْوَكَ وَاسِعًا * وَعَلَيَّ سِتْرُكَ دَائِمًا مَسْبُولُ

فَلَكَ الْمَحَامِدُ وَالْمَدَائِحُ فِي الثَّنَاءِ * يَا مَنْ هُوَ الْمَقْصُودُ وَالْمَسْؤُولُ

أيها المؤمنون، إنه لا غنى لعبد عن ستر الله أبداً، فمن نعم الله علينا أن ستر القبائح عن أعين الناس، فماذا لو كشف الله الستر عن ذنوبنا؟ ماذا لو أصبحنا وذنوبنا مكتوبة على جباهنا يراها الخلق؟ أما والله لولا ستر الله علينا لما جالسنا أحد، ولو كانت لذنوبنا رائحة لما رافقنا أحد.

وَمَا أَرْوَعَ قَوْلَ الْقَحْطَانِيِّ فِي نُونِيَّتِهِ:

أَنْتَ الَّذِي آوَيْتَنِي وَحَبَوْتَنِي * وَهَدَيْتَنِي مِنْ حَيْرَةِ الْخِذْلَانِ

وَزَرَعْتَ لِي بَيْنَ الْقُلُوبِ مَوَدَّةً * وَعَطَفْتَ مِنْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانِ

وَنَشَرْتَ لِي فِي الْعَالَمِينَ مَحَاسِنًا * وَسَتَرْتَ عَنْ أَبْصَارِهِمْ عِصْيَانِي

وَاللهِ لَوْ عَلِمُوا قَبِيحَ سَرِيرَتِي * لَأَبَى السَّلَامَ عَلَيَّ مَنْ يَلْقَانِي

وَلَأَعْرَضُوا عَنِّي وَمَلُّوا صُحْبَتِي * وَلَبُؤْتُ بَعْدَ كَرَامَةٍ بِهَوَانِ

لَكِنْ سَتَرْتَ مَعَايِبِي وَمَثَالِبِي * وَحَلِمْتَ عَنْ سَقَطِي وَعَنْ طُغْيَانِي

فَلَكَ الْمَحَامِدُ وَالْمَدَائِحُ كُلُّهَا * بِخَوَاطِرِي وَجَوَارِحِي وَلِسَانِي

وقد روى أهل السير في «كتاب التوابين» لابن قدامة: أن بني إسرائيل أصابهم قحط على عهد موسى عليه السلام، فاجتمعوا إليه وقالوا: يا نبي الله! ادعُ لنا ربك أن يسقينا الغيث.

فخرجوا يستسقون وهم سبعون ألفاً أو يزيدون، فقال موسى: إلهنا اسقنا غيثك، وانشر علينا رحمتك، وارحمنا بالأطفال الرُّضَّع، والبهائم الرُّتَّع، والشيوخ الرُّكَّع. فما ازدادت السماء إلا تقشعاً، وذهب السحاب، وما ازدادت الشمس إلا حرارة. فقال موسى: يا رب! استسقيناك فلم تسقِنا. فأوحى الله إليه: يا موسى، إن فيكم عبداً يبارزني بالمعصية منذ أربعين عاماً، فمره أن يخرج من بين أظهركم؛ فبشؤم ذنبه مُنِعتم القطر. قال موسى: يا رب! عبد ضعيف وصوتي ضعيف، أين يبلغ وهم سبعون ألفاً؟ فقال: منك النداء وعلينا البلاغ.

فنادى موسى في الجمع: يا أيها العبد العاصي الذي بارز الله بالمعصية أربعين عاماً! اخرج من بين أظهرنا؛ فبشؤم ذنبك مُنِعنا القطر. فتلفت ذلك العبد يميناً وشمالاً، فعلم أنه المقصود، فقال في نفسه: إن خرجت افتضحت على رؤوس بني إسرائيل، وإن بقيت هلكت وهلكوا جميعاً بالقحط. فأدخل رأسه في ثيابه وقال: يا رب! عصيتك أربعين عاماً وأمهلتني، واليوم قد أقبلت إليك طائعاً تائباً نادماً، فاقبلني واسترني بين الخلق يا أكرم الأكرمين!

فلم يستتم كلامه حتى علت السماء سحابة بيضاء، فأمطرت كأفواه القِرَب. فقال موسى: يا رب! سقيتنا ولم يخرج من بين أظهرنا أحد. فقال الله: يا موسى! أسقيتكم بالذي منعتكم به. قال: يا رب! أرني هذا العبد الطائع التائب. قال: يا موسى! لم أكن لأفضحه وهو يعصيني، أفأفضحه وهو يطيعني؟ فسبحان الله ما أكرمه وأرحمه! ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزُّمَر:٥٣].

كيف نفوز بستر اللّه علينا؟

إن لستر الله تعالى أسباباً للفوز به والحصول عليه، ومنها:

السبب الأول: الإخلاص للّه تعالى.

فمن أخلص في أقواله وأعماله وتصرفاته ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن راءى فضحه الله.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللهُ بِهِ» [متفق عليه]. ومن أراد بعمله السُّمْعة والذكر الحسن كشفه الله على حقيقته وفضح أمره، ومن أراد ثناء الناس سخط عليه.

السبب الثاني: ترك المجاهرة بالذنوب والمبادرة بالتوبة.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ» [متفق عليه]. وَقَالَ ﷺ: «اجْتَنِبُوا هَذِهِ الْقَاذُورَاتِ الَّتِي نَهَى اللهُ عَنْهَا، فَمَنْ أَتَى شَيْئًا مِنْهَا فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللهِ» .

لذلك أعجب العجب ممن ستره الله وهو يفضح نفسه! يقول أحدهم: ذكر لي بعض أصدقائي أنه زنى في وقت مضى، ثم قال: والله مضى على هذه القصة ثلاثون عاماً، كلما نظرت إليه تذكرت أنه زنى. الإنسان لا يغفر، فإذا وقع من إنسان زلة والله ستره، فليس له حق في أن يفضح نفسه أو يبوح بأخطائه لأحد. وليس عندنا في الإسلام ما يسمى بـ«البوح»

كما في بعض المعتقدات الأخرى، حيث يقف المرء أمام رجل دين يخبره بكل أخطائه؛ هذا غير وارد شرعاً. الله ستّير، ما دام أن الله سترك فيجب أن تستر نفسك. ولهذا يقال: «إذا بليتم بالمعاصي فاستتروا»، وهي مقولة صحيحة شرعاً؛ يعني إنسان غلبته نفسه لا ينبغي أن يفتخر بهذه المعصية أو يذيعها. فإذا وقع العبد في معصية ثم تاب منها دون أن يجهر بها، ستره الله في الدنيا والآخرة.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ» [متفق عليه].

اللهم ارحمنا يوم العرض عليك يا رب العالمين.

السبب الثالث: ستر المسلمين.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

[رواه مسلم].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمدًا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها المؤمن، اعلم أن الناس على ضربين:

الأول: من كان مستوراً لا يُعرف بشيء من المعاصي، فإذا وقعت منه هفوة أو زلة، فإنه لا يجوز كشفها ولا هتكها ولا التحدث بها، لأن ذلك غيبة محرمة. وهذا هو الذي وردت فيه النصوص، وفي ذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩]

الثاني: من كان مشتهراً بالمعاصي، معلناً بها لا يبالي بما ارتكب منها، فهذا هو الفاجر المعلن، ويجوز ذكر حاله لإقامة الحد عليه أو التحذير من شره، ومثل هذا لا يُشفع له إذا أُخذ، بل يُترك حتى يُقام عليه الحد لينكفّ شره، ويرتدع به أمثاله.

ومن الستر على المسلم: ألا تنعت المرأة امرأة أخرى لزوجها.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُبَاشِرُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا» [متفق عليه].

فينبغي أن لا تصف المرأة امرأة أخرى لزوجها.

ورغّب النبي ﷺ في ستر المؤمن حتى بعد موته. فَقَالَ ﷺ: «مَنْ غَسَّلَ مَيْتًا فَسَتَرَهُ، سَتَرَهُ اللهُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَمَنْ كَفَّنَهُ كَسَاهُ اللهُ مِنْ سُنْدُسٍ» [رواه الطبراني والبيهقي في الشعب، وصححه الألباني].

ويروي لنا أهل السير أن جرير بن عبد الله البجلي كان عند الفاروق عمر في خلافته ومعه جماعة ينتظرون الصلاة، فخرج من أحد القوم ريح، وخاف عمر أن يحمل الخجل صاحب الريح على الدخول في الصلاة وهو محدث، فقال عمر: عزمت على صاحب الريح أن يتوضأ. فبادر جرير وقال: مُرنا جميعاً أن نتوضأ. فسُرّي عمر وقال لجرير: رحمك الله، نعم السيد كنت في الجاهلية، ونعم السيد أنت في الإسلام.

عباد الله، إن ستر الله نعمة لا تُحصى، وعفوٌ يستر ويغفر ويؤخر ولا يعجل. فاحمدوا الله على ستره، وأصلحوا أعمالكم، وأخلصوا نياتكم، واستروا عيوب إخوانكم يستر الله عيوبكم.

اللهم استرنا فوق الأرض، وتحت الأرض، ويوم العرض عليك. اللهم لا تفضحنا بين خلقك، ولا تهتك سترنا، وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

هذا وصلوا – رحمكم الله – على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة.

فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب:٥٦]

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...

الأمانة

الحمد لله، الحمد لله الذي أمر بالأمانة ونهى عن الخيانة، ورفع شأن الصادقين وأعد لهم جنات النعيم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمر بصدق الحديث وأداء الأمانات، ونهى عن الغش والخداع والخيانات. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين. فصلوات ربي وسلامه عليه من يومنا هذا إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المؤمنون، أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فتقوى الله هي وصية الله لنا ولمن كان قبلنا، سبحانه القائل:

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ ﴿١٣١﴾﴾ [النساء:١٣١]

مفتاح التوفيق والسداد، والراحة والسعادة في الدين والدنيا والآخرة: تقوى الله. فالله جل وعلا الكبير المتعال، الكريم المنان، سبحانه في معية المتقين، في معيته، وفي حفظه، وفي نصره. قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل:١٢٨]

اللهم اجعلنا من عبادك المتقين الأبرار، واحشرنا في زمرة محمد وصحبه الأخيار، واجمعنا في الجنة يا عزيز يا غفار.

الأمانة.. تعريفها وقيمتها

أيها المؤمنون، أحباب محمد ﷺ: اليوم حديثنا عن خلق عظيم، وفضيلة كريمة، من تمسك بها نال رضا الله، ومن ضيعها فقد خاب وخسر.

إنها الأمانة: خُلق الأنبياء، وعنوان المؤمنين، وبرهان الصادقين، ومفتاح الثقة بين الناس. بها يصلح حال المجتمعات، وبضياعها تنتشر الفوضى ويعم الفساد، يقول الله جل وعلا في صفات أهل الإيمان: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المؤمنون:٨]

ويقول جل وعلا:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنفال:٢٧]

عباد الله: إن الأمانة ليست كلمةً تُقال، ولا شعاراً يُرفع، ولا لفظاً يُردد، ولكنها دين وعقيدة، وخُلق ومسؤولية.

الأمانة أيها الكرام: هي عهد موثوق بين العبد وربه، وهي وصية النبيين، وشعار المؤمنين، وعلامة أولي النهى المتقين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢]

فأبت السماوات والأرض والجبال أن تتحمل هذه المسؤولية العظيمة، وحملها الإنسان بمحض اختياره، وسيُسأل عنها يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وعن أنس ﷺ قال: ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ» . [رواه أحمد، وصححه الألباني].

الأمانة في العبادات

يا أيها المسلم: العبادات الشرعية أمانة عندك، بأن تؤديها إخلاصاً لله، وموافقة لشرع الله، لا تزيد فيها ولا تنقص منها. فإن الله لا يقبل العمل إلا إذا كان خالصاً له، وصواباً على سنة نبيه صلى الله عليه وآله.

الوضوء أمانة: أنت مؤتمن عليه في إسباغه وإتمامه. ولهذا رأى النبي ﷺ بعض أصحابه تركوا غسل بعض القدم، خاصة الأعقاب، فقال بأبي وأمي عليه الصلاة والسلام: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ» . [أخرجه البخاري ومسلم].

- **الغسل من الجنابة أمانة**: وما ائتمن الله عبداً على شيء ما ائتمنه على غسل الجنابة. ما أدرانا حين احتلمت أو أتيت أهلك أنك اغتسلت؟! الله جل وعلا يعلم، فهو أمانة.

الصلوات الخمس أمانة: عليك أن تؤديها في أوقاتها، ولا تؤخرها عن وقتها بلا عذر شرعي. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾ [النساء:١٠٣]

الزكاة أمانة: فاتق الله في أدائها وإخراجها على وفق ما شرع الله، واحصها وأخرجها طيبة بها نفسك.

الصوم أمانة: لا يعلم أحد أنك صائم إلا الملك الجليل ﷻ. فصيامك أمانة، قد يمشي إنسان بين الناس ويدّعي أنه صائم وهو ليس بصائم؛ ولهذا فالصيام يغرس مراقبة الملك الجليل جل وعلا.

الحج أمانة: نعم، الحج أمانة. فإذا ملكت الزاد والراحلة والمال لك ولأهلك، فاتق الله وانطلق للحج قبل أن لا تستطيع أن تحج.

الأمانة في الولايات والمناصب

أيها المؤمنون: ومن معاني الأمانة أن يُوضع كل إنسان في مكانه اللائق به والمناسب له، فلا يُعطى منصب إلا لمن هو أهل وكفؤ له. أما قليل العلم، أو قليل الخبرة، أو عديم الأمانة، فلا يجوز إسناد أي منصب له.

فعن أبي ذر ﷺ قال: قلت يا رسول الله، ألا تستعملني؟ -يريد إمارة، يريد منصباً- ألا تستعملني يا رسول الله؟ قال: فضرب النبي المصطفى بمنكبي، وقال: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ». [رواه مسلم]، فالواجب أن يُختار لأي ولاية أو منصب: القوي الأمين. وأما من يختار شخصاً لهوى، أو رشوة، أو قرابة، فهذه خيانة لله والرسول وللمؤمنين. واسمعوا ماذا يقول النبي المصطفى صلى الله عليه وعلى آله: «مَنِ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا عَلَى عُصْبَةٍ أَوْ عَلَى جَمَاعَةٍ، وَفِيهِمْ مَنْ هُوَ أَرْضَى للهِ مِنْهُ، فَقَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ» . [رواه الحاكم وصححه].

وهذا يجري عند الانتخابات، أو عند اختيار أي منصب: فيتحرك الأقارب والأحباب والأصحاب من أجل أن يقفوا مع صاحبهم، وهم يعلمون أن هناك شخصاً آخر أفضل، وأقوى، وأكثر أمانة وعلماً. فمن استعمل رجلاً على جماعة وفيهم من هو أرضى لله منه، فقد خان الله والرسول والمؤمنين.

فأين ولاة الأمر من هذه الأحاديث؟ أين من يتسابقون على المناصب؟

أيها الناس: إن الأمة التي لا أمانة فيها هي التي تنتشر فيها الرشوة، وتهمل الأكفاء، ويُقدَّم الذين ليسوا أهلاً للمناصب. وهذه من علامات الساعة التي قد وقعت. تذكرون ذلك الأعرابي دخل والنبي ﷺ يُحدّث أصحابه، وقال: يا رسول الله، متى الساعة؟ فقال المصطفى عليه الصلاة والسلام: «إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» . فقال: يا رسول الله، وكيف إضاعتها؟ وكيف أعرف أن الأمانة ضاعت؟ قال ﷺ: «إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» [أخرجه البخاري].

كيف سيكون حال الأمة إذا تولى أمورها خونة لا يخافون في المؤمنين إلا ولا ذمة؟!

انظروا رحمكم الله إلى أرض فلسطين، وخصوصاً غزة العزة، كيف تحالفت عليها قوى الظلم والبغي، وضيّقت عليها الخناق، ومُنعت عنها الإمدادات والغذاء والدواء. والله ثم والله لو كانت الأمانة حاضرة في قلوب الزعماء وقلوب المسلمين، لما تُركت غزة وحدها تصارع بأشد أنواع الحصار.

حسبنا الله ونعم الوكيل، كل يوم يمر والناس يموتون جوعاً وحصاراً وإبادة. لا إله إلا الله، حين تضيع الأمانة من المسلمين، وخاصة الزعماء.

ومن الأمانة أيها الكرام: أن لا يستغل الإنسان منصبه الذي عُيّن فيه لجر منفعة له أو لأقاربه، كأن يأخذ زيادة على راتبه. وتستغرب: بعض المدراء وبعض أصحاب المناصب راتبهم معروف، لكن أربع سيارات، وثلاث عمارات، وبيوت! من أين لك هذا؟ إن كانت مال عام، فهي خيانة لله ورسوله وللمؤمنين.

الأمانة في المعاملات والأسرة

عباد الله:

الشراء والبيع أمانة: بأن يكون بيعك بيعاً صادقاً، لا غش فيه ولا خيانة، لا تدليس ولا خداع، ولا أيماناً فاجرة تروّج بها سلعتك. فما أكثر الأيمان عند أصحاب البيع! يحلفون آلاف الأيمان على بيع السلعة. ضيّع دينه وأمانته. والنبي المصطفى عليه الصلاة والسلام أخبرنا أن: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ... وَمِنْهُمْ: مُنْفِقٌ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ» .

الاستئجار أمانة: أيها المستأجر، أنت مؤتمن على ما استأجرته، بأن تحافظ عليه، وتسلّم ما استأجرته من غير إخلال ولا إضرار به.

أموال اليتامى أمانة: يا من هو وكيل على أموال اليتامى، اعلم أن الله سائلك يوم القيامة عما أؤتمنت عليه، والحساب يوم القيامة عسير. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ [النساء:١٠]

الوصايا والأوقاف أمانة: يا من هو مسؤول على وصايا وأوقاف، اتق الله فيما أؤتمنت عليه، فلا تخن ولا تكذب، وحافظ عليه.

- **الزوجية أمانة**: أيها المسلم، أنت مؤتمن على زوجتك بأن تعطيها حقوقها، ولا تظلمها ولا تضر بها. كما أنت مؤتمن على أخلاقها وسلوكها، فأنت راعٍ ومسؤول عن رعيتك. والمرأة المؤمنة مؤتمنة على بيتها، ومال زوجها، وفراش زوجها، فتؤدي أمانتها كما أمر الله.

الأبناء أمانة: أيها المسلم، أنت مؤتمن على أولادك بنين وبنات: تربيةً وتعليماً وتوجيهاً، وتحميهم من أسباب الشر. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم:٦]

وأنت مؤتمن على أولادك في تأليف قلوبهم، وإصلاح ذات بينهم، فلا تُفضّل أحداً على أحد. واتق الله واعدل بينهم في العطايا والهبات، حتى يكونوا لك قلباً واحداً.

أنت مؤتمن على البنات فتختار لهن من فيه خير لهن في الدين والدنيا. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ» .

[رواه الترمذي وحسنه].

لم يذكر لا ماله، ولا قبيلته، ولا أرضه، ولا فلوسه، ولا رصيده، بل قال: دينه وخلقه فزوجوه. كم سمعنا من آباء يمتنعون عن تزويج بناتهم لمصالح يريدها هو: إما اكتساب من راتبهن وأموالهن، أو طمعاً في خدمتهن، أو بحثاً عن الأكثر مالاً، ينتظر حتى يأتي أكثر مالاً وجاهاً! وهذه خيانة والله خيانة للأمانة.

- **الوالدان أمانة**: الأبوان أمانة عندك، لاسيما إذا كبر سنهما وضعفا. قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

اللهم حسن أخلاقنا، وزكِّ نفوسنا، وارفع درجاتنا، واغفر ذنوبنا، واعتقنا من النار.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه. وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبينا محمداً ﷺ الداعي إلى رضوانه. اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وجميع إخوانه، صلاة دائمة من يومنا هذا إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله تعالى، فإن تقوى الله خير زاد، وأفضل متاع.

الأمانة في القول والكلمة

أيها المؤمنون:

الكلمة أمانة، فلا يحل لك أن تنطق بلسانك الزور، أو أن تشيع بين الناس باطلاً، أو أن تنقل خبراً دون تثبّت. ربما فيه تخويف للناس، وفيه إشاعة للخوف، وفيه إشاعة للفاحشة. فاتق الله فيما تنقل. قَالَ تَعَالَى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق:١٨]

هل الأمانة في المال العام؟

المال العام أمانة: وأعظم الخيانة أن يُسرق قوت الشعب، وأن تُبدّد موارد الدولة في الفساد والمحسوبيات. واسمعوا ما يقول النبي المصطفى ﷺ: «مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ -يعني وظفناه وظيفة في الدولة- عَلَى عَمَلٍ، فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا، فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ» . [رواه أبو داود وأحمد]. يعني: حرام، سيأتي يوم القيامة متحمّلاً له يوم الحشر، يوم العرض، يوم القيامة أمام الناس كلهم. فاتقوا الله عباد الله في أموال أمتكم، فإنها أمانات مسجلة في صحائفكم، ومسؤوليات.

الشهادة أمانة: فلا تشهد إلا إذا كنت تعلم، ولا تكتمها، ولا تخاف في الله لومة لائم. فالله يقول: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾ [البقرة:٢٨٣]

عباد الله: **ومن الأمانة إعطاء العمال الضعفاء حقوقهم**، وعدم التلاعب والتهاون بذلك. فالعمال أمانة عندك وتحت يدك، مسؤول أنت عن حقوقهم وواجباتهم.

لا تماطل بحقوقهم، ولا تسيء إليهم. واعلم أن يد الله فوق يدك. سبحانه القائل: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النساء:٥٨]

الأمانة في السر

السر أمانة: ما اختارك هذا الشخص فيُعطيك السر إلا لأنه استأمنك عنده. فاتق الله ولا تفشِ، فإفشاء السر من الخيانة. ما بين الرجل وامرأته، ما يجري بينهما أمانة: على المرأة أن لا تفضي للناس ما بينها وبين زوجها، وعلى الرجل أن لا يفضي للناس ما بينه وبين زوجته. وهذا من أعظم الجرائم.

الأمانة في الطب والعلاج

ومن أعظم الأمانات عباد الله التي يجب حفظها: أمانة الطب وعلاج الناس. الأطباء.. وما أدراكم ما الأطباء! حين يدخل المريض على الطبيب يسلم له نفسه، ويثق بعلمه ونصحه، ويأخذ ما يشير عليه من فحوصات وعلاجات، ولا يدري ما يناسبه أو لا يناسبه.

فهل يُعقل بعد ذلك أن يخدع المريض؟

هل يعقل أن يحمل فوق حاجته من فحوصات وأدوية لا داعي لها؟

فيا من جعلتم الطب تجارة: اتقوا الله في مرضى المسلمين. لا تكتبوا فحوصات غير ضرورية، ولا تصرفوا أدوية لا يحتاجها المريض، فإن ذلك من خيانة الأمانة. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» . [رواه مسلم].

ولا زال بعض الأطباء والصيادلة إلى اليوم يتعاملون مع المهنة وكأنها وسيلة وتجارة لاستنزاف أموال المرضى، لا لرحمتهم وشفائهم. فالله حسيبهم.

الأمانة في التجارة

التجارة أيها الكرام أمانة: فيا أيها التاجر -وعندما أقول التاجر ليس معناها التجار الكبار، حتى صاحب البقالة الصغيرة، حتى صاحب الدكان الصغير- أيها التاجر، خف الله في تسعيرك، لا تكن جشعاً، لا تكن ممن يفرح بارتفاع الصرف ليغالي، ثم يتجاهل انخفاض الصرف ليلقى ربحاً مضاعفاً.

يا أيها الحبيب، يا أيها التاجر، يا صاحب المحل، يا صاحب المؤسسة: إنك قد تستطيع خداع الزبون مرة، ولكنك لم تخادع رب العالمين. يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ». [رواه الترمذي وحسنه].

يا الله، ما باله؟ ما قام الليل، ولم يصلِّ، ولم يتصدق -تاجر، لكنه أمين صادق- يوم القيامة يحشر مع النبيين والصديقين والشهداء! أي منزلة عظيمة! لكنها لا تكون إلا لمن يخاف الله، لمن يخاف الله ويتقيه في بيع كل سلعة، ويضع الربح المعقول. وهذه المنزلة العالية في الآخرة ليست إلا لمن يتورع عن أكل أموال الناس بالباطل.

تذكّر يا عبد الله، تذكّر أنك ستموت، وأن كل درهم أخذته ظلماً، أو رفعت فيه السعر ظلماً، سيُقتص منك يوم القيامة أمام الله، يوم لا ينفع مال ولا تجارة ولا رصيد في البنك.

وَاللهُ يَقُـــــولُ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤﴾ [المطففين: ١-٤].

أيها التاجر المسلم: اتق الله في أمتك، لا تكن سبباً في زيادة معاناتهم. والراحمون يرحمهم الرحمن، هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾

[الأحزاب:٥٦] اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...

الإنترنت ووسائل التواصل

الحمد لله العليم الخبير، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة:٧]

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين. اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فيا أيها المؤمنون، أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فهي جماع كل خير، ومن اتقى الله وقاه وكفاه وحماه من كل شر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

النعمة والشكر وحقيقة سوء الاستغلال

عباد الله: إن من شرار الخلق في الدنيا والآخرة من يستغلون نعم الله تعالى، ويتمتعون بها، ثم يستخدمونها في معصيته ومحاربة دينه وأوليائه. هؤلاء استحقوا عقاب الله في الدنيا والآخرة.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ [إبراهيم:٢٨]

عباد الله: نعم الله تعالى تستوجب الشكر، واستخدامها فيما يرضيه. فمن شكر الله زاده خيراً ورضا ويقيناً. ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم:٧]

ومن أعظم نعم الله علينا في هذا العصر: تلك الوسائل التي فتحت للناس أبواب العالم كله، ويسرت لهم سبل التواصل من المشرق إلى المغرب في لحظات، بالصوت والصورة. إنها وسائل التواصل، إنها الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، التي جعلت العالم كأنه قرية صغيرة. إنها خدمة ونعمة قدمت للعالم منافع كثيرة: من تيسير في التعاملات، وتحصيل العلوم النافعة في شتى المجالات، والاطلاع على أخبار العالم في كل القارات، والتواصل مع الأقارب والأصدقاء البعيدين مباشرة بدون حواجز أو انقطاعات. بل أصبحت الإنترنت ووسائل التواصل وسيلة عظيمة للدعوة إلى دين الله رب الأرض والسماوات، وغير ذلك من أمور الخير. نعم عظيمة حُرمها من كان قبلنا.

إلا أنه وعلى الجانب الآخر نجد أن نعمة الإنترنت عادت على الكثير من أبناء الأمة بالشر العظيم بسبب سوء استعمالها.

أيها المؤمنون، لقد أصبح الإنترنت شرّاً مستطيراً، وبلاءً خطيراً، ووسيلةً لهدم الدين والأخلاق والقيم.

غيّرت وسائل التواصل (الواتس والفيس وغيرها) حياتنا: اختزلنا مشاعرنا في رسالة، وأبوّتنا في تغريدة، وأُمومتنا في مقطع لا يتجاوز العشر ثوانٍ. وضعنا الطعام لا لنأكله لكن لنأخذ له صورة، واجتمعنا لنفقد إحساسنا ببعضنا، فكل واحد مشغول بجواله.

واهتممنا بتصوير اللحظات أكثر من أن نعيشها. أصبحت الكتب سهلة الحمل وميسرة، ففي ذاكرة صغيرة لا تتجاوز السنتيمترات آلاف الكتب، لكننا لم نقرأ. لم نعد ننظر في عيون أبنائنا فبحثوا عن آخرين ليشاركونهم، يحدثونهم ويلعبون معهم.

أيها المؤمنون، لقد صارت وسائل التواصل الاجتماعي سبباً لانشغال الزوج عن زوجته، والزوجة عن زوجها، والأبناء عن آبائهم وأمهاتهم، والإخوة عن أخواتهم. بل صار كبار السن يشعرون بالعزلة عن فروعهم وأقاربهم. في كل دقيقة يتم رفع(٧٢)ساعة فيديو على اليوتيوب حول العالم، ويتم نشر(٢٧٧)ألف تغريدة على تويتر، ومشاركة(٣٤٧) ألف صورة على واتساب، ومليونا ونصف محتوى على فيسبوك. ولك أن تحسب كم في الساعة وكم في اليوم.

عباد الله ، لقد تحولت شبكة الإنترنت إلى ساحة فيها معركة شرسة تستهدف شبابنا جيل الحاضر وبناة المستقبل، تستهدف أولادنا ونساءنا في نشر الإباحية وإفساد العقيدة، ودمار الأخلاق. ولقد أفسدت بعض المواقع في هذه الشبكة في وقت قصير ما لم تفسده بعض القنوات الفضائية في سنوات.

أضرار الإنترنت ووسائل التواصل

عباد الله، نقف وإياكم مع أضرار هذه الشبكة، فمن أضرارها:

أولاً: **ضياع الأوقات**: يقضي المستخدمون على وسائل التواصل معدل عشرين دقيقة من كل ساعة، وهذا ما يعني خمساً وعشرين سنة من أعمارهم تقريباً.

قال ابن القيم رحمه الله: إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها.

فالجالس أمام تلك الشاشة الصغيرة يقلب بصره يميناً وشمالاً بالساعات، فيضيع عليه عمره هباءً منثوراً. وعند موته يتحسر على تلك الساعات التي فاتت من عمره في غير مرضاة الله، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفرقان:٢٧]

إخوتاه، كم مرة نفتح كتاب الله ونقلّب صفحاته في اليوم والليلة؟ وكم نقلّب شاشات الجوالات ليلاً ونهاراً؟

ثانياً: **التعرف على صحبة السوء**: الداخلون في بحر الحب والغرام، والباحثون عن الأفلام الهابطة والصور الحرام، ويوم القيامة يقول أحدهم: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفرقان:٢٨] ها هو أحدهم يعرض عليه صاحبه مقطع فيديو مخلاً فيتعجب منه، فيقول: أعطني بريدك الإلكتروني وسأرسل لك عبر الموقع أسبوعياً مقاطع، فأعطاه البريد، ومر الأسبوع الأول وجاءت المقاطع، والأسبوع الثاني... وبعد شهر مات المرسل، وبعد موته بأسبوع وصلته مقاطع من حسابه! أيها المؤمنون، من أرسل صورة أو مقطعاً حراماً يتحمل وزره ووزر من شاهده إلى يوم القيامة ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل:٢٥]

ثالثاً: نشر الكفر والإلحاد والأفكار المنحرفة وزعزعة العقيدة: عن طريق بث الشكوك والشبهات حول دين الله تعالى، وكتابه الكريم، وسنة نبيه ﷺ، وفتح المجال للتبشير بالأديان المحرفة. وصدق الله إذ يقول: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

رابعاً: تدمير الأخلاق ونشر الرذائل: عن طريق الأفلام المخلة، والصور الخليعة، والدخول إلى غرف الدردشة، والتجسس على الأسرار الشخصية، مما أدى إلى انتهاك حرمات المسلمين، ووقوع بعض الفتيات في شباك أصحاب القلوب المريضة، الذين استغلوا ضعفهن في ابتزازهن وانتهاك أعراضهن. وفي أمثال هؤلاء الذين يؤذون الناس في أعراضهم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩].

خامساً: إهمال الصلاة وضعف الاهتمام بها: وهذا مشاهد فيمن يجلس الساعات الطوال يقلب صفحات الإنترنت ومواقعه، فربما تضيع عليه الصلاة والصلاتان، وربما يؤخر الصلاة أو يتركها بالكلية. وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩].

سادساً: **إشاعة الخمول والكسل والعجز واللامبالاة**: العالم ينتج ويخترع ويبني، ونحن مشغولون بوسائل التواصل والعداء والحرب فيما بيننا؛ وهذا ما يريده أعداء الإسلام، لكي لا يكون للمسلمين قوة ومكانة بين بلاد العالم.

سابعاً: **إضعاف مستوى التعليم**: وذلك بإشغال الشباب والفتيات بأبواب كثيرة من الباطل، وصرفهم عن العلوم النافعة التي تعود عليهم وعلى بلادهم بالخير والنماء.

أيها الأحباب، هناك ألعاب إلكترونية أدمن عليها الشباب والأطفال حتى أثّرت على تحصيلهم الدراسي وحياتهم العامة، ووصلت بالبعض إلى مرحلة الإدمان:

- ألعاب تغرس في عقل الطفل أن في الكون قوى خارقة تستطيع فعل أي شيء، ولا يقدر عليها شيء، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- ألعاب تظهر فيها الكنائس والأجراس والصلبان.

- ألعاب بسببها زادت ظاهرة العنف لدى الأطفال؛ لأن الكثير منها يشجّع على القتل والضرب والتخريب والخطف وحب الانتقام وإيذاء الآخرين.

- ألعاب تعرض صورا حية لنساء كاسيات عاريات، تلعب بعقول المراهقين.

- ألعاب لها آثار صحية من ضعف البصر، وانحناء الظهر، وتقوس العمود الفقري، ورعشة تصيب أصابع اليدين. وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبينا محمداً ﷺ الداعي إلى رضوانه، وعلى آله وأصحابه وجميع إخوانه، صلاة دائمة من يومنا هذا إلى يوم الدين، أما بعد: فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله تعالى، فإن تقوى الله خير زاد، وأفضل متاع.

سبل النجاة والعلاج من آفات الإنترنت

عباد الله أمام هذه الأخطار والأضرار، واجب علينا وحريٌّ بمن كان له قلب وعقل وإيمان:

أولاً: أن يحسن التعامل مع شبكة الإنترنت ووسائل التواصل، والاستفادة منها، وألا يضيع وقته وعمره فيما لا ينفع بل يضر.

ثانياً: ألا ينساق وراء وساوس الشيطان وخطواته، وأن ينظر في العواقب، ويجاهد نفسه ويلجمها بلجام التقوى. واعلم أن النجاة صبر ساعة، فاجمع قواك لما هناك، واصبر ساعة لزمان. ولو نظر العبد إلى غيره ممن تأثر بوسائل التواصل لعلم علم اليقين مدى أثرها على حياتهم المادية والنفسية: فكم من طالبٍ فشل، وكم من موظف طُرد من عمله، وكم من زوج طلق زوجته، وكم من فتاة وقعت في الفتنة، وكم من بيت خرب، وكم من صالح ضل،

وكم من شاب تأثر بالفكر الضال المنحرف... وهكذا دواليك، مما يجعل المسلم حريصاً على نفسه من الوقوع فيما وقع فيه غيره.

ثالثاً: تخصيص وقت معين لنا وكذلك لأولادنا للجلوس أمامه مع تحديد الهدف من ذلك. أما الاسترسال والجلوس بالساعات فمضيعة للدين والعمر.

رابعاً: تجنب المؤثرات السلبية: فيبتعد المسلم عن كل موقع تُعرض فيه مخالفات شرعية، وعن كل مجموعة أو منتدى يُثار فيه الكلام الفاحش البذيء، أو سب العلماء والصالحين. فإذا نأى بنفسه عن ذلك حفظ إيمانه ونفسه من كل شر.

خامساً: غض البصر: فكل صورة تعرض على الإنسان ولو بدون قصد يتأثر بها، وتكون موجودة في مخيلته، وخاصة تلك الصور المحرمة والمقاطع الهابطة. كل الحوادث مبدأها من النظر.

فإذا تذكر المسلم قول الله جل وعلا:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

وطبق ذلك، أرضى ربه، وارتاحت نفسه، وشعر بنور الإيمان يشع من قلبه.

سادساً: لزوم المراقبة لله ﷻ، واستشعار معية الله واطلاعه، فهي أعظم زاجر وواعظ للمرء، خاصة في الخلوات. يا عبد الله، لا تجعل الله أهون الناظرين إليك. وتذكر قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: ١٦].

وإذا خلـوت بريبةٍ في ظـــلمةٍ * والنفـــسُ داعـيةٌ إلى الطغيانِ

فاستـحِ من نظـرِ الإلهِ وقل لها * إن الذي خلقَ الظلامَ يـــراني

إذا ما خلوت الدهرَ يوماً فلا تقل * خلوتُ ولكن قل عليّ رقيبُ

سابعاً: التثبت: أن يتثبت مما يقوله، ويسمعه، ويقرؤه، ويرويه. فإذا اطلع على خبر أو أمر أو شائعة، تَثَبَّتَ وتأكد قبل النسخ واللصق والنشر. ولقد جاء النهي الصريح عن أن يحدث المرء بكل ما سمع. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» . [رواه مسلم].

ثامناً: أن يكون التعامل مع الإنترنت في مكان عام يراه الجميع. فلا يجوز أن تكون محلات الإنترنت غرفاً مغلقة، وكذلك في البيوت يفضل أن يكون الاستخدام في الصالة أو مكان مفتوح.

تاسعاً: تحميل تطبيقات وبرامج تنظم استخدام الإنترنت وتحمي أطفالنا من الدخول إلى المواقع المخلة، فهناك الكثير منها المجاني والفعال.

عاشراً: على جميع من ولاه الله أمر المسلمين، من مسؤولين ودعاة ومعلمين وآباء وغيرهم، أن يتقوا الله في أولادهم، وأن يحرصوا على حمايتهم من الشرور التي تعرض لهم، وأن يجنبوهم الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يحرصوا على صحبة الخير لهم.

عباد الله، إن النعمة إذا لم تُشكر زالت، وإذا ساء استعمالها تحولت نقمة. فاحمدوا الله على نعمة التواصل، واستعملوها في طاعته، واحذروا من آفاتها ومزالقها.

اللهم اجعلنا ممن يشكر نعمك، ويحسن استعمالها، ويعصمنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

هذا وصلوا وسلموا على خير البرية، فقد أمركم الله بذلك فقال عز من قائل:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾

[الأحزاب:٥٦]

الباقيات الصالحات(١)

الحمد لله معز من أطاعه واتقاه، ومذل من خالف أمره وعصاه، وفق أهل طاعته للعمل بما يرضاه، وحقق على أهل معصيته ما قدره عليهم وقضاه. أحمده سبحانه على حلو نعمه ومر بلواه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا رب لنا سواه، ولا نعبد إلا إياه، وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيه ومصطفاه، فطوبى لمن والاه وتولاه. اللهم صلّ على محمد وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في الله حق جهاده، وكان هواهم تبعاً لهداه، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا عباد الله، اتقوا الله ﷻ حق تقاته، وسارعوا إلى مغفرته ومرضاته، ونافسوا وسابقوا للفوز بجناته، فوالله لن ينفع الإنسان بعد مماته إلا ما قدم من الصالحات والقربات في حياته، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر:١٨].

الحياة ظِلٌّ زائل

أيها المسلمون: الحياة ظلٌّ زائل، وطيفٌ زائر، وسحابٌ عابر. حياة قصيرة، يتقلب المرء المعمر فيها سريعاً ثم يرتحل: طفولة فشباب فكُهُولة، فشيخوخة فَهَرَم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [غافر: ٦٧].

لا إله إلا الله، أيها الإخوة، لا يدرك الإنسان قصر الحياة، ولا يتفطن لسرعة مرورها إلا حين ينقضي العمر، وتنتهي الأنفاس، ويوم يقوم الحساب تتجلى للعباد هذه الحقيقة. وكم في القرآن من آيات تشهد لذلك:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [يونس: ٤٥].

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٦].

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الروم: ٥٥].

أيها المؤمنون: كل شيء في الحياة إلى زوال. العمر يفنى، والولد يموت، والمال يورث، والمنصب يتلاشى، ولا يبقى للمرء إلا الباقيات الصالحات، التي سنعيش معها اليوم.

ما هي الباقيات الصالحات؟

الباقيات الصالحات: أعمال صالحة تُدَّخَر ليوم المعاد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٦].

الباقيات الصالحات: حسنات يبقى بِرُّها وذُخْرُها، وأجرها وثوابها، ويبقى نعيمها وسرورها، ويغفر الله بهن عن العبد الذنوب.

الباقيات الصالحات: حسنات يرتقي بهن العبد في الجنة درجات. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف: ١٠٧].

الباقيات الصالحات: نعم الزاد ليوم المعاد. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧].

وَلَا يَسْتَوِي مَن كَانَ فِي اللهِ سَعْيُهُ * وَمَن كَانَ يَسْعَىٰ فِي حُطَامٍ وَيَجْمَعُ

ما هي الباقيات الصالحات؟

قال جمهور المفسرين: هي الكلمات المأثور فضلها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

والذي عليه المحققون من أهل العلم: أن الباقيات الصالحات هن جميع أعمال الخير.

ومن فضائلها في السنة الشريفة:

فضائل الباقيات الصالحات

الباقيات الصالحات جُنَّة من النار

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «خُذُوا جُنَّتَكُمْ». قلنا: يا رسول الله، من عدو حضر؟ فقال: «خُذُوا جُنَّتَكُمْ مِنَ النَّارِ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُقَدِّمَاتٍ وَمُعَقِّبَاتٍ وَمُجَنِّبَاتٍ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ» . [رواه النسائي والحاكم والبيهقي، وصححه الألباني].

(يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُقَدِّمَاتٍ): أي: يتقدمن صاحبها يوم القيامة.

(وَمُعَقِّبَاتٍ): أي: هن كلمات يأتي بعضها عقب بعض.

(وَمُجَنِّبَاتٍ): أي: تكون في الميمنة والميسرة، فكأنهن جيش من كل جهة يحمين قائلهن ويسترنه عن النار.

الباقيات الصالحات تغرس لقائلها غرساً في الجنة

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ مر به وهو يغرس غرساً، فقال: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا الَّذِي تَغْرِسُ؟» قلت: غراساً لي.

قال: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى غِرَاسٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ هَذَا؟ قُلْ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، يُغْرَسْ لَكَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ» [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

وهذه رسالة الخليل إبراهيم عليه السلام لنا معاشر أمة محمد ﷺ. فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ» . [رواه الترمذي وحسنه الألباني]. وزاد الطبراني: «وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

الباقيات الصالحات سبب لزيادة الحسنات:

عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى مِنَ الْكَلَامِ أَرْبَعًا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، فَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ كُتِبَ لَهُ عِشْرُونَ حَسَنَةً وَحُطَّتْ عَنْهُ عِشْرُونَ سَيِّئَةً، وَمَنْ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً وَحُطَّتْ عَنْهُ ثَلَاثُونَ سَيِّئَةً» . [رواه أحمد في مسنده].

الباقيات الصالحات سبب لحط الخطايا

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ غصناً فنفضه فلم ينتفض، ثم نفضه فلم ينتفض، ثم نفضه فانتفض، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدَ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، تَنْفُضُ الْخَطَايَا كَمَا تَنْفُضُ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا» . [رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح].

وفي رواية قال ﷺ: «مَا عَلَى الْأَرْضِ أَحَدٌ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، إِلَّا كُفِّرَتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» .

[رواه أحمد وغيره].

الباقيات الصالحات هي الأثقل في الميزان:

عن أبي سلمى ﷺ راعي رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بِخٍ بِخٍ» وأشار بيده، «لَخَمْسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يَتَوَفَّى لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فَيَحْتَسِبُهُ» [رواه النسائي وابن حبان في صحيحه].

الباقيات الصالحات لها دويٌّ كدوي النحل حول عرش الرحمن

عن النعمان بن بشير ﷺما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللهِ: التَّسْبِيحَ، وَالتَّهْلِيلَ، وَالتَّحْمِيدَ، يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ، أَوْ لَا يَزَالَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ؟» . [رواه ابن أبي الدنيا وابن ماجه].

الباقيات الصالحات أحب الكلام إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ

عن سمرة بن جندب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ». [رواه مسلم].

وفي صحيح مسلم أيضاً عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ».

انظر إلى ما طلعت عليه الشمس في يومك هذا من البنوك والسيارات والمزارع والمصانع... إلخ، فهل يستطيع أحد أن يحصي ذلك؟ فالباقيات الصالحات خير من ذلك؛ لأنها باقية، وما عداها كله إلى زوال.

اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين، واجعل الباقيات الصالحات زادنا ليوم لقائك.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبينا محمداً ﷺ الداعي إلى رضوانه. اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فيا أيها المسلمون، مازلنا مع فضائل الباقيات الصالحات

عباد الله، **الباقيات الصالحات تعدل عتق الرقاب والجهاد في سبيل الله**

عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت: مر بي رسول الله ﷺ فقلت: إني قد كبرت وضعفت، أو كما قالت، فمُرني بعمل أعمله وأنا جالسة. قال: «سَبِّحِي اللهَّ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكِ مِائَةَ رَقَبَةٍ تَعْتِقِينَهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاحْمَدِي اللهَّ مِائَةَ تَحْمِيدَةٍ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكِ مِائَةَ فَرَسٍ مُسَرْجَةٍ مُلْجَمَةٍ تَحْمِلِينَ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللهَّ، وَكَبِّرِي اللهَّ مِائَةَ تَكْبِيرَةٍ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكِ مِائَةَ بَدَنَةٍ مُقَلَّدَةٍ مُتَقَبَّلَةٍ، وَهَلِّلِي اللهَّ مِائَةَ تَهْلِيلَةٍ».

قال ابن خلف الراوي عن عاصم: أحسبه قال: «تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَلَا يَرْفَعُ يَوْمَئِذٍ لِأَحَدٍ عَمَلٌ أَفْضَلُ مِمَّا يُرْفَعُ لَكِ، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِ مَا أَتَيْتِ». [رواه أحمد والطبراني، وحسنه جمع من أهل العلم].

الباقيات الصالحات من أطيب الكلام وخيره:

عن سمرة ﷺ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أَرْبَعٌ مِنْ أَطْيَبِ الْكَلَامِ، وَهُنَّ مِنَ الْقُرْآنِ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ».

[أخرجه مسلم: ٢١٣٧].

الباقيات الصالحات سبب في إجابة الدعاء وقبول الصلاة

عن عبادة بن الصامت ﷺ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ للهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى، قُبِلَتْ صَلَاتُهُ». [أخرجه البخاري: ١١٠٣].

الباقيات الصالحات تعدل الإنفاق والجهاد وقيام الليل

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ اللهَ قَسَّمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَّمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ ضَنَّ بِالْمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ، وَخَافَ الْعَدُوَّ أَنْ يُجَاهِدَهُ، وَهَابَ اللَّيْلَ أَنْ يُكَابِدَهُ، فَلْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ».

[قال الألباني: إسناده صحيح].

الباقيات الصالحات تعطي صاحبها قوة بدنية لأداء الأعمال الدينية والدنيوية

عن علي ﷺ أن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرحا، فأتى النبي ﷺ سبيٌ، فانطلقت فلم تجده، فوجدت عائشة فأخبرتها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة، فجاء النبي ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت لأقوم فقال: «عَلَى مَكَانِكُمَا»، فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، وقال: «أَلَا أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَتُسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدَا ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ». [رواه البخاري ومسلم]، وفي الصحيحين قال علي ﷺ: «مَا تَرَكْتُهُ مُنْذُ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ». قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال: «وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ».

الباقيات الصالحات تقوم مقام شكر الله على نعمة عافية البدن

وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةِ مَفْصِلٍ، فَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ، وَحَمِدَ اللَّهَ، وَهَلَّلَ اللَّهَ، وَسَبَّحَ اللَّهَ، وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ، وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ، عَدَدَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِمِائَةِ، فَإِنَّهُ يُمْسِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زُحْزِحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ». [رواه مسلم].

عباد الله: كم نصيبنا من هذه الكلمات ليلاً ونهاراً؟

كم زادنا من هذه الكلمات المباركة صباحاً ومساءً، وهي نعم الزاد والرصيد؟

عباد الله:

لا تغفلوا عن هذه الكنوز، ولا تضيعوا هذه الفرص. فالكلمة الطيبة صدقة، والذكر الباقي خير من المال الفاني، اللهم اجعلنا ممن يعملون للآخرة، ولا يغترون بزينة الدنيا، اللهم ارزقنا لساناً ذاكراً، وقلباً خاشعاً، وعملاً صالحاً متقبلاً.

اللهم اجعل الباقيات الصالحات أثقل ما في موازيننا، وأعظم ما في صحائفنا.

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾[الأحزاب:٥٦]

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...

الباقيات الصالحات الحمد (١)

الحمد لله الذي افتتح كتابه بالحمد فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ١-٤]، وافتتح خلقه بالحمد فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، واختتم الكون بالحمد بعد ذكر مآل أهل الجنة وأهل النار فقال: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٥﴾ [الزمر: ٧٥].

وأشهد أن لا إله إلا هو، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون.

لَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّي عَلَى كُلِّ نِعْمَةٍ وَمِنْ جُمْلَةِ النُّعْمَاءِ قَوْلِي: لَكَ الْحَمْدُ

إِلَهِي لَكَ الْحَمْدُ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ عَلَى نِعَمٍ مَا كُنْتُ قَطُّ لَهَا أَهْلُ

وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمداً المصطفى الأمين، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين. اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله تعالى، فإن تقوى الله خير زاد، وأفضل متاع.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨﴾ [الحشر:١٨]

هل عرفتم بعد هذه المقدمة مع من سنعيش؟ مع عبادة عظيمة لا تُصرف إلا لله، ولا يستحقها سواه، وليس لها أهل إلا هو، وهي عبادة الحمد.

عبادة الحمد لله من أشرف العبادات وأعلى مقامات العبد، التي لا تطيب حياة المؤمن إلا بها، ولا تسكن جوارحه، ويخشع قلبه، ويطمئن فؤاده إلا بالمداومة عليها. إنها عبادة يقوم بها القلائل الذين اصطفاهم الله، حيث قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣]. إنها عبادة من الباقيات الصالحات التي تبقى للعبد، عبادة يحبها الله سبحانه. عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي مَدَحْتُ رَبِّي ﷻ بِمَحَامِدَ، قَالَ: «أَمَا إِنَّ رَبَّكَ يُحِبُّ الْحَمْدَ». [رواه البخاري في الأدب المفرد، وحسنه الألباني].

مقام الحمد وفضله

أيها المسلم: ما أوسع السماء، وما أعظم الميزان! لكنه يمتلئ بهذه الكلمة العظيمة. تذكرنا بقول النبي ﷺ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ». [رواه مسلم]. مرة واحدة تملأ الميزان، طيب كيف لو كررتها؟

الحمد لله وكفى، يعني كفى بالحمد عبادة للنجاة يوم القيامة لأنها تملأ الميزان.

الحمد لله وكفى، يعني كفى بالحمد عبادة ترضي الله عنك. قال ﷺ كما في الصحيح: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا». [رواه مسلم]. فاللهم ارضَ عنا وارزقنا حمدك وشكرك.

الحمد لله وكفى، يعني كفى بالحمد عبادة لقضاء حوائج الدنيا. من أين أخذناها؟ من قول النبي ﷺ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ». [رواه البخاري ومسلم]. أي استجابة الله لمن حمده.

الحمد.. وما أدراك ما الحمد؟ إنه الاعتراف بالفضل، الاعتراف بالجميل، الاعتراف بالمنعم وشكره. كلمة عظيمة تربط العبد بالمعبود، والمخلوق بالخالق، والفقير بالغني سبحانه.

الحمد لله كلمة جليلة يقولها العبد في السراء والضرّاء، وفي الفقر والغنى، وفي الموت والحياة، وفي الصحة والمرض.

الحمد لله أوجدنا من عدم فله الحمد، وصبّ علينا النعم فله الحمد، أنطقنا وأسمعنا وأبصرنا وحركنا وأغنانا فله الحمد، هدانا للإسلام وأنزل إلينا القرآن بلغتنا ولساننا وبه هدانا، وأرسل إلينا خير رسله وأشرف أنبيائه فله الحمد، أطعمنا وغيرنا جائع، وآمنا وغيرنا خائف، وعزّنا وغيرنا ذليل، وحررنا وغيرنا أسير، وأعزّنا وغيرنا مهان؛ فالحمد لله على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة.

الحمد في الكتاب والسنة وسير الأنبياء

عباد الله، لأهمية الحمد بدأ الله به كتابه، فحمد نفسه قبل أن يحمده الحامدون فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾

كفى بهذه العبادة شرفاً أن يتسابق الملائكة لكتابتها. عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ قَالَ: كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «مَنِ الْمُتَكَلِّمُ؟» قَالَ: أَنَا، قَالَ: «رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا، أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ». [رواه البخاري].

بدأ الله بالحمد خمس سور من القرآن: الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر.

واختتمت به أربع سور: الإسراء، والزمر، والصافات، والنمل.

تكررت هذه الآية بلفظها في ستة مواضع، وتكررت كلمة الحمد لله في ثلاثة وعشرين موضعاً.

وَهُوَ الْحَمِيدُ سُبْحَانَهُ فَكُلُّ حَمْدٍ وَاقِعٌ أَوْ كَانَ مَفْرُوضًا مَدَى الْأَزْمَانِ مَلَأَ الْوُجُودَ جَمِيعُهُ وَنَظِيرُهُ مِنْ غَيْرِ مَا عَدٍّ وَلَا حُسْبَانِ هُوَ أَهْلُهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ كُلُّ الْمَحَامِدِ وَصْفُ ذِي الْإِحْسَانِ

ورُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: «الْحَمْدُ للهِ كَلِمَةُ كُلِّ شَاكِرٍ».

الحمد لله نطق بها الأنبياء والرسل الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام. قال الله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المؤمنون: ٢٨]، وقال على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وعن داود وسليمان عليهما السلام: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ [النمل: ١٥]، وقالها سبحانه لسيد المرسلين محمد بن عبدالله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء: ١١١]، وقال له: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النمل: ٥٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم الجليل، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبينا محمداً ﷺ الداعي إلى رضوانه. اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد ..

مجالات الحمد في حياة المسلم

عباد الله :الحمد لله أفضل من النعمة. قال النبي ﷺ: «مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَحَمِدَ اللهَ عَلَيْهَا إِلَّا كَانَ ذَلِكَ الْحَمْدُ أَفْضَلَ مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ». [رواه ابن حبان وصححه الألباني].

فلا إله إلا الله، لو أن الدنيا كلها بحذافيرها في يد رجل ثم قال الحمد لله لكان الحمد أفضل من ذلك؛ لأن الدنيا فانية، والكلمة باقية، وهي من الباقيات الصالحات.

الحمّادون كثيرو الحمد هم أفضل عباد الله يوم القيامة. قال النبي ﷺ: «إِنَّ أَفْضَلَ عباد الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْحَمَّادُونَ». [رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني].

ويقول ﷺ: «أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى إِلَى الْجَنَّةِ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللهَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ». [رواه الحاكم وصححه]، والمؤمن حياته كلها حمد إلى آخر لحظاته. قال ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ تَخْرُجُ نَفْسُهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ وَهُوَ يَحْمَدُ اللهَ ﷻ». [رواه أحمد وصححه الألباني]، الحمد لله مفتاح بيت في الجنة.

ففي الجنة بيت اسمه بيت الحمد.

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ». [رواه الترمذي وحسنه].

الحمد عبادة تمنع إصابة البلاء. فقال ﷺ: «مَنْ رَأَى مُبْتَلًى فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا؛ لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلَاءُ». [رواه الترمذي وحسنه].

أعلاه الكريم، عطّر لسانك دائماً بقول الحمد لله، فهي أفضل الدعاء. ويقول ﷺ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ للهِ». [رواه الترمذي وابن ماجه].

ويقول ﷺ: «وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ للهِ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مِائَةِ فَرَسٍ يُحْمَلُ عَلَيْهَا». [رواه النسائي].

الحمد لله على نعمة الصحة والعافية، على نعمة الحياة، على نعمة الإيمان، على نعمة الإسلام، على نعمة السمع، على نعمة العقل، على نعمة البصر، على نعمة الكلام، على نعمة الأولاد، على نعمة الوالدين، على نعمة التذوق.

الحمد لله على كل نعم الله التي لا تُعد ولا تُحصى. اجعل هذه الكلمة على لسانك في كل وقت وحين، قلها بقلبك وقالبك، وتلذذ بها اليوم وأنت في الدنيا؛ ليستمر تلذذك وتنعمك بها وأنت في جنة ربك سبحانه، ما أجمل كلمة الحمد لله وهي تخرج من إنسان مبتلى، حُرِم من كثير من النعم! كم نعم الله علينا ولكننا لا نستشعرها.

أحدهم كان مقطوع اليدين، إذا ذهب إلى مناسبة يأخذ معه مرافقاً. وفي مرة انشغل المرافق عنه، فأراد قضاء حاجته فاضطر أن يستعين بأحد أقاربه. فقام قريبه حتى أدخله الخلاء، وجلس خارجاً. فقال له: ادخل معي.

دخل معه، قال: ما تريد؟ قال: أخلع ملابسي فأنا لا أستطيع. خلع له ملابسه، جلس يقضي حاجته، وبعد قليل ناداه وقال له: نعم وضيني فأنا لا أستطيع. فوضاه ثم ألبسه ثم أخرجه.

أسألك بالله، هل استشعرت هذا الموقف؟ هل أحد منا أصبح وهو يقول: الحمد لله على نعمة اليدين تخدماني، عينان أنظر بهما، أذنان أسمع بهما، لسان أتكلم به، ريق لا ينشف، وكلى سليمة؟ قل الحمد لله، وحبّب لسانك بالحمد والشكر لله، واستشعر نعم الله عليك.

الحمد لله كلمة من أحسن الكلمات وأجل العبارات، كلمة ينبغي على الإطلاق ألا تفارق لسان الواحد منا في كل شؤون حياته، مقتدياً برسوله ﷺ:

- إذا أوى إلى فراشه قال ما كان يقوله: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي كَفَانَا وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مَأْوَى».

- إذا استيقظ قال: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي رَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَعَافَانِي فِي جَسَدِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ».

- إذا وفّقه لقيام الليل قال: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ...».

- إذا عطس قال: الحمد لله.

- إذا استجد ثوباً قال: «الْحَمْدُ للهِ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ...».

- إذا فرغ من الطعام قال: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ».

- إذا ركب دابة أو وسيلة نقل قال: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ».

- إذا رأى مبتلىً قال: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ...».

- إذا وُفِّق للصواب حمد الله؛ كما حمد جبريل النبي ﷺ حين اختار اللبن على الخمر فقال: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلْفِطْرَةِ».

- إذا رأى رؤيا يحبها حمد الله وحدّث بها من يحب.

- إذا أتاه أمر يكرهه قال: «الْحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ».

حتى في الصلاة والحج كلمة الحمد لا تغيب:

- في الاستفتاح: «اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ للهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا».

- عند الرفع من الركوع: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، والمأموم يقول: «رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ».

- بعد الصلاة: نحمد الله ثلاثاً وثلاثين.

- في الحج والتلبية: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ».

ردد هذه الكلمة من أعماقك، اهتف بها من أحاسيسك، قلها بروحانية مع خفقان قلبك:

- تجددت لك نعمة ظاهرة / قل الحمد لله.
- دفع الله عنك محنة أو نقمة / قل الحمد لله.
- رزقك الله مالاً أو ولداً / قل الحمد لله.
- تأكل وتشرب وتتحرك بلا منغصات / قل الحمد لله.

- تنام في طمأنينة / قل الحمد لله.
- يشفيك الله من مرض / قل الحمد لله.
- أنت راضٍ بقسمة الله / قل الحمد لله.
- في اليسر قل الحمد لله، وفي العسر قل الحمد لله.
- في الرخاء قل الحمد لله، وفي الشدة قل الحمد لله.
- في مكروه أصابك أو مصيبة نزلت بك / قل الحمد لله.

.هذا وصلوا – رحمكم الله – على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾

[الأحزاب:٥٦].

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...

الباقيات الصالحات الحمد (٢)

الحمد لله الذي جعل التقوى خير زاد، أحمده سبحانه وأشكره، والشكر حقٌّ واجبٌ له على كلِّ العباد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا نظيرَ ولا أنداد، وأشهد أن سيدنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله، شفيع الموحِّدين يوم التناد. اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحبهِ ذوي البرِّ والتُّقَى والرشاد.

أما بعد: فيا عباد الله، اتقوا الله، فإنها الزاد ليوم المعاد. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر: ١٨]. وراقبوا الله في السر والنجوى، واعلموا أن أجسادكم على النار لا تقوى، فتوبوا إليه توبة نصوحاً. ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة: ٢٨١].

ما زلنا وإياكم في ظلال الباقيات الصالحات. وقفنا وإياكم مع عبادة الحمد، وما زال الحديث عن تلك الكلمة التي ترفع لصاحبها الدرجات، وتضاعف له الحسنات، وتكفّر له السيئات والخطيئات، الحمد لله، ما أحسنها من كلمة وهي تخرج من قلبٍ صابر، أو لسانٍ ذاكر، أو عبدٍ شاكر، الحمد لله كلمةٌ من أحسن الكلمات التي تعمَّر بها الجنان، وينطق بها اللسان، وتسمعها الأذنان، وتخطُّها للحقِّ البَنان.

لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا نَسْتَلِذُّ بِهِ ذِكْرًا وَإِنْ كُنْتُ لَا أُحْصِي ثَنَاءً وَلَا شُكْرًا

لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا طَيِّبًا يَمْلَأُ السَّمَا وَأَقْطَارَهَا وَالْأَرْضَ وَالْبَرَّ وَالْبَحْرَا

فضائل الحمد وأجوره العظيمة

قال ﷺ كما صحَّحه الألباني عن أبي سعيد الخدري ﷺ: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ للهِ كَثِيرًا، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: اكْتُبُوا لِعَبْدِي رَحْمَتِي كَثِيرًا». [رواه ابن خزيمة والطبراني، وصححه الألباني].

لا إله إلا الله، وما أسهل هذا العمل، وما أعظم الأجر، وما أعظم الثواب! فأين الذاكرون؟ وأين الحامدون؟

عن أبي أمامة ﷺ قال: رآني النبي ﷺ وأنا أحرك شفتي، فقال لي: «بِأَيِّ شَيْءٍ تُحَرِّكُ شَفَتَيْكَ يَا أَبَا أُمَامَةَ؟» فقلت: أذكر الله يا رسول الله. فقال: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِكَ اللهَ اللَّيْلَ مَعَ النَّهَارِ؟ تَقُولُ: الْحَمْدُ للهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ، الْحَمْدُ للهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ، الْحَمْدُ للهِ عَدَدَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، الْحَمْدُ للهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَالْحَمْدُ للهِ عَلَى مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَالْحَمْدُ للهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْحَمْدُ للهِ مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتُسَبِّحُ اللهَ مِثْلَهُنَّ. تَعَلَّمْهُنَّ وَعَلِّمْهُنَّ عُقْبَكَ مِنْ بَعْدِكَ». [رواه ابن خزيمة والطبراني، وصححه الألباني].

أيها المؤمنون، أذكّركم بحديث عبد الله بن غنّام البياضي ﷺ رفعه إلى النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ، أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ». [أخرجه أبو داود والنسائي، وصححه ابن حبان].

لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا سَرْمَدِيًّا مُبَارَكًا يَقِلُّ مِدَادُ الْبَحْرِ عَنْ كُتُبِهِ حَصْرَا

لَكَ الْحَمْدُ تَعْظِيمًا لِوَجْهِكَ قَائِمًا يَخُصُّكَ فِي السَّرَّاءِ مِنِّي وَفِي الضَّرَّ

نعمٌ خفية وبلاءٌ ظاهر.. فأين الشكر؟

أخي الكريم، تعرف أناساً لا ينامون إلا بالمهدئات، ولا يأكلون إلا بالمُشهِّيات، ولا يبتسمون إلا بأقراص الاكتئاب والدوبامين، وأنت تنام وتأكل وتبتسم.. فقل الحمد لله.

ملايين من البشر انتحروا، وملايين يفكرون في الانتحار للألم والفقر والمرض والبعد عن الله، وأنت لم يخطر ببالك مجرد خاطر أن تفعل ذلك.. فقل الحمد لله.

على وجه الكرة الأرضية أكثر من أربعة مليار إنسان لم يسجدوا لله سجدة، وأنت بين الفينة والأخرى تمرّغ هذا الجبين سجوداً لله.. فقل الحمد لله.

عدد المصابين بالصمم الكلي يُقدّر بمئات الملايين، وبفضل الله لست منهم.. فقل الحمد لله.

لديك أم، وهناك من فقدها وهو طفل.

لديك أب، وهناك من لم يرَ أباه، لديك أخ، وهناك من حُرِم معنى الأخ.

لديك أخت، وهناك من دفنها منذ زمن.. فقل الحمد لله.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم الجليل، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبينا محمداً ﷺ الداعي إلى رضوانه. اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد ..

قال ابن حبان في كتابه «الثقات»: حدثني الأوزاعي، عن عبد الله بن محمد، قال: خرجت إلى ساحل البحر مرابطاً وكان في عريش مصر، فلما انتهيت إلى الساحل إذا أنا بخيمة، فيها رجل قد ذهب يداه ورجلاه، وثقل سمعه وبصره، وما له من جارحة تنفعه إلا لسانه، وهو يقول: «اللَّهُمَّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَحْمَدَكَ حَمْدًا، أُكَافِئُ بِهِ شُكْرَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ، وَفَضَّلْتَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْتَ تَفْضِيلًا».

قال عبد الله: فقلت والله لآتينَّ هذا الرجل، ولأسألنَّه: أين له هذا الكلام؟ أفهمٌ هو؟ أم علم؟ أم إلهام؟ فأتيت الرجل فسلّمت عليه، فقلت: سمعتك وأنت تقول كذا وكذا، فأي نعمة من نعم الله عليك تحمده عليها؟ وأي فضيلة تفضل بها عليك تشكره عليها؟

قال: وما ترى ما صنع ربي؟! والله لو أرسل السماء عليّ ناراً فأحرقتني، وأمر الجبال فدمّرتني، وأمر البحار فأغرقتني، وأمر الأرض فبلعتني، ما ازددت لربي إلا شكراً، لما أنعم عليّ من لساني هذا.

يا لله، أي رضا وصل إليه هذا الشيخ المبتلى؟ وأي إيمان يخالط بشاشة قلبه؟ وأي صبر وجلد

وجهاد هو ينعم بالعيش فيه؟

ثم قال له: لي إليك حاجة، قد تراني على أي حالة أنا، أنا لست أقدر لنفسي على ضر ولا نفع، ولقد كان معي بنيّ لي يتعاهدني في وقت صلاتي، فيوضّئني، وإذا جعت أطعمني، وإذا عطشت سقاني، ولقد فقدته منذ ثلاثة أيام، فتحسَّسه لي رحمك الله.

فمضيت في طلب الغلام، فما مضيت غير بعيد، حتى صرت بين كثبان الرمل، فإذا أنا بالغلام قد افترسه سبعٌ وأكل لحمه، فاسترجعت وقلت: أيّ وجهٍ رقيقٍ آتي به الرجل؟! فبينما أنا مقبل نحوه، إذ خطر على قلبي ذكر أيوب النبي ﷺ. فلما أتيته سلمت عليه، فرد عليّ السلام. فقال: ألست بصاحبي؟ قلت: بلى. قال: ما فعلت في حاجتي؟ فقلت: أنت أكرم على الله أم أيوب النبي؟ قال: بل أيوب النبي. قلت: هل علمت ما صنع به ربه؟ أليس قد ابتلاه بماله وآله وولده؟ قال: بلى. قلت: فكيف وجده؟ قال: وجده صابراً شاكرًا حامدًا. قلت له: إن الغلام الذي أرسلتني في طلبه وجدته بين كثبان الرمل، وقد افترسه سبع فأكل لحمه، فأعظم الله لك الأجر، وألهمك الصبر.

فقال المبتلى: الحمد لله الذي لم يخلق من ذريتي خلقاً يعصيه، فيعذبه بالنار. ثم استرجع، وشهق شهقة فمات.

فغسلناه وكفناه بأثواب كانت معنا، وصلينا عليه ودفناه. فلما جنّ عليّ الليل، وضعْتُ رأسي، فرأيته فيما يرى النائم في روضة من رياض الجنة، وعليه حلّتان من حلل الجنة، وهو يتلو:

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٤].

فقلت: ألست بصاحبي؟ قال: بلى. قلت: أين لك هذا؟ قال: «إِنَّ للهِ دَرَجَاتٍ لَا تُنَالُ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، مَعَ خَشْيَةِ اللهِ ﷻ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ».

عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى مِنَ الْكَلَامِ أَرْبَعًا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، فَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ كُتِبَ لَهُ عِشْرُونَ حَسَنَةً أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ عِشْرُونَ سَيِّئَةً، وَمَنْ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ مِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً وَحُطَّتْ عَنْهُ ثَلَاثُونَ سَيِّئَةً». [متفق عليه].

لَكَ الْحَمْدُ مَقْرُونًا بِشُكْرِكَ دَائِمًا لَكَ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى لَكَ الْحَمْدُ فِي الْأُخْرَى

لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا طَيِّبًا أَنْتَ أَهْلُهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ يَشْمَلُ السِّرَّ وَالْجَهْرَا

سيدنا محمد ﷺ حامل لواء الحمد يوم القيامة، وصاحب الشفاعة يوم يضيق الخلق من شدة الحر والضيق. ألف سنة فيذهبون إلى آدم وإبراهيم وموسى وعيسى، وكلهم يقول: نفسي نفسي. فيقول عيسى: اذهبوا إلى محمد خاتم النبيين، المغفور له. قال ﷺ: «فَيَأْتُونَنِي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ». [متفق عليه].

انظروا كيف فرج الله عن الخلق أجمعين بالسجود والحمد والثناء عليه.

ويقول ﷺ: «وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ للهِ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مِائَةِ فَرَسٍ يُحْمَلُ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللهِ». [رواه النسائي وأبو داود].

أخي الكريم، هل فكرت في الماء الذي تشربه ثم تدخل الخلاء وتخرجه بعافية؟ هل فكرت كيف لو احتبس بداخلك؟ يقول أحد الأطباء: جاء مريض يصيح صياحاً، فلما فُحص تبين أن البول محتبس عنده. ولا إله إلا الله.

ويقول أحد مرضى الغسيل الكلوي: منذ سنتين لا أتبول طبيعياً، هذا الماء يحتبس عندي، ثم أجلس على الكرسي والجهاز لمدة أربع إلى ست ساعات حتى يخرج. وأنت تخرجه في الخلاء في لحظات وبسهولة. هل فكرت في هذه النعمة وقلت: ربّ الحمد؟ مريض الكلى يغسل كليته ثلاثين مرة خلال شهرين أو ثلاثة مع الآلام والمتاعب، وأنت تغسل كليتك طبيعياً اثنتين وثلاثين مرة يومياً دون أن تشعر بشيء! فقل الحمد لله.

يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا أَنْتَ وَفَّقْتَنَا لَهُ وَعَلَّمْتَنَا مِنْ حَمْدِكَ النَّظْمَ وَالنَّثْرَا
لَكَ الْحَمْدُ كَمْ قَلَّدْتَنَا مِنْ صَنِيعَةٍ وَأَبْدَلْتَنَا بِالْعُسْرِ يَا سَيِّدِي يُسْرَا

دخَلَ ابن السماك على هارون الرشيد الخليفة العباسي يوماً، فاستسقى الخليفة، فأُتي بكأس فيها ماء. فلما أخذها قال ابن السماك: على رسلك يا أمير المؤمنين، لو مُنعت هذه الشربة بكم كنت تشتريها؟ قال: بنصف ملكي. قال: اشرب هنأك الله.

فلما شربها قال: أسألك بالله، لو مُنعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشتري خروجها؟ قال: بجميع ملكي. فقال ابن السماك: لا خير في ملك لا يساوي شربة ماء. فبكى هارون الرشيد بكاءً شديداً.

عباد الله، إن النعم لا تُعرف إلا بزوالها، والشكر لا يتم إلا بإدراكها. فلا تمرّ ساعة من ليلكم أو نهاركم إلا وأنتم تقولون: الحمد لله. على الصحة، على الأمن، على الإيمان، على الإسلام، على السمع والبصر والفؤاد، على الرزق والأهل والولد، على الهداية والستر والعفو.

اللهم اجعلنا من الشاكرين لنعمك، الذاكرين لفضلك، الحامدين على سرائك وضرائك.

اللهم لا تحرمنا لذة شكرك، ولا تبتلنا بنعمة ننساها أو كفران ننكثه.

اللهم ارزقنا القلوب الشاكرة، والألسنة الذاكرة، والأجساد المطيعة، والنفس الرضية.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأذل الكفر والكافرين. اللهم أغث إخواننا في غزة وفلسطين، اللهم فرج عنهم، وانصرهم، وارفع عنهم البلاء والحصار والقتل.

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

ألا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى محمد عليه الصلاة والسلام، فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الباقيات الصالحات التسبيح (١)

الحمد لله العزيز الغفار، خلق الإنسان من صلصال كالفخار، وخلق الجان من مارج من نار.

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، يعلم ما تحمل كل نفس من خير وشر. ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤].

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار، وصحبه الأخيار، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله وخشيته ومراقبته، وصحبة من يعينكم على طاعته. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩].

ما هو التسبيح؟

أيها المؤمنون، يقول الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٦].

سنعيش اليوم مع أول الباقيات الصالحات: التسبيح. وما أدراكم ما التسبيح؟

التسبيح: هو تنزيه الله عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢٢]

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الإسراء:٤٣].

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات: ١٨٠].

التسبيح سيما وصفة لأهل الإيمان

قال الله ﷻ عنهم: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور: ٣٦-٣٧].

التسبيح عبادة المخلوقات جميعاً:

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

حتى الرعد يسبح بحمده، والملائكة من خيفته، والجبال سخرت مع داود يسبحن.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور: ٤١].

والملائكة تفخر بهذه العبادة الجليلة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

ولذلكم فإننا نعيش في عالم يضج بالتسبيح، لكننا أحياناً لا نلتفت ولا نبالي ولا نهتم أو لا نفقه ذلك. فإذا كان هذا الكون كله من عرشه إلى فرشه يضج بالتسبيح، فأين موقعي؟

وأين موقعك من هذا الكون المسبح؟ أين مكاني ومكانك؟ كم هو رصيدي ورصيدك اليومي من التسبيح لله؟

حتى النمل الصغير يا مؤمنون يقدس الله تعالى ويسبحه. قال عليه الصلاة والسلام في الحديث المتفق عليه: «قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ، أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ اللهَ». [رواه البخاري].

إن التسبيح يستمر حتى في الجنة: تنتهي كل الطاعات والعبادات إلا الحمد والتسبيح، يُلهمونه كما نُلهم في الدنيا النفس. فقد أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ١٠].

فهنيئاً لمن أكثر من التسبيح في الدنيا، ووجد لذة فيه، وفرحاً به، فإنه حريٌّ أن يتلذذ بالتسبيح في الجنة كما تلذذ به في الدنيا. سبحان الله عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

الأنبياء والتسبيح

أيها المؤمنون، لقد كان للأنبياء عليهم السلام شأن عظيم مع التسبيح:

١. نوح عليه السلام: يوصي ابنه بالتسبيح. كما صح عن النبي ﷺ لما حضرت نوحاً الوفاة قال لابنه: «إِنِّي آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ: آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعْنَ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ؛ فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ».

[أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني].

٢. موسى عليه السلام: دعا ربه تبارك وتعالى قائلاً: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤﴾ [طه: ٢٩-٣٥].

٣. داود عليه السلام: كانت الجبال والطيور تسبح معه.

قال سبحانه: ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ١٨﴾ [ص:١٨]

٤. زكريا عليه السلام: قال وهو يدعو ربه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٤١﴾ [آل عمران: ٤١].

انتبهوا لهذين الوقتين: بعد الفجر وبعد العصر، فهما أفضل وقت للتسبيح.

وقال سبحانه: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ١١﴾[مريم: ١١].

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾ [الأحزاب: ٤٢].

٥. يونس عليه السلام: كان تسبيحه من أعظم أسباب تفريج الكروب.

حين نادى وهو مكظوم: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧]. قال الله تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤].

٦. نبينا محمد ﷺ: ها هو يدعوه ربه سبحانه ليكون من المسبحين:

- فيقول له: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ [الأعلى: ١]، فجعلها في السجود.

- ويقول له: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: ٩٦]، فجعلها في الركوع.

- وأمره بالتسبيح ليختم به عمره: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ٣].

- وأوصاه بالتسبيح ليكون زاداً في مواجهة ظلم الظالمين، وطغيان المعتدين، واستهزاء المستهزئين: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾﴾ [غافر: ٥٥]، ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ [طه: ١٣٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد: التسبيح في سنة النبي ﷺ

علمنا النبي ﷺ أن نسبح الله دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة، ونسبح الله قبل النوم ثلاثاً وثلاثين مرة.

وروي أن أبا هريرة ﷺ كان يسبح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة، ويقول: «أُسَبِّحُ عَلَى قَدْرِ دِيَتِي».

وكان خالد بن معدان يسبح في اليوم أربعين ألف تسبيحة، فلما وضع على خشبة الغسل بعد موته، جعل يشير بإصبعه ويحركها كأنه يسبح.

ومن عاش على شيء، مات عليه. فكم رصيدي؟ وكم رصيدك؟

عباد الله، إن التسبيح نور للقلب، وطمأنينة للنفس، وثقل في الميزان، وجُنَّة من النار. فلا تمرنَّ ساعة من ليلكم أو نهاركم إلا وأنتم تقولون: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، اللهم اجعلنا من المسبحين لك في الغدو والآصال، من الذاكرين لك كثيراً، من الشاكرين لنعمك ظاهرها وباطنها.

اللهم اجعل الباقيات الصالحات أثقل ما في موازيننا، وأعظم ما في صحائفنا، هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

[الأحزاب:٥٦].

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...

الباقيات الصالحات التسبيح (٢)

الحمد لله الذي خضعت لعظمته الرقاب، ولانت لجبروته الصعاب، غافر الذنب وقابل التوب، شديد العقاب، ذو الطول، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ [الرعد: ٣٠].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، العزيز الوهاب، من تكلم سمع نطقه، ومن سكت علم سره، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فإليه منقلبه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، شفيعنا يوم المآب، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه واستن بسنته إلى يوم الحساب.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فهي جماع الخير، وسبب الفلاح، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠].

عظمة التسبيح في الكتاب والسنة

أيها المؤمنون، يقول الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٦].

ما زلنا وإياكم في ظلال الباقيات الصالحات، وبدأنا الحديث عن التسبيح، وها نحن نواصل الكلام حول هذه العبادة الجليلة. فقد جاء ذكر التسبيح في القرآن الكريم في اثنين وتسعين موضعاً. وافتُتحت به سبع سور سُميت بـ«المسبحات»، وهي: الإسراء، والحديد، والحشر،

والصف، والجمعة، والتغابن، والأعلى. وزاد بعضهم سورة ثامنة وهي النحل: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١﴾ [النحل: ١].

وخُتمت به أربع سور وهي: الحجر، والطور، والواقعة، والحاقة.

ولعظمة هذه العبادة، وردت في القرآن على نحو ثلاثين وجهاً: ستة منها للملائكة، وتسعة لنبينا محمد ﷺ، وأربعة لغيره من الأنبياء، وثلاثة للحيوانات والجمادات، وثلاثة للمؤمنين خاصة، وستة لجميع الموجودات.

أوقات وأماكن التسبيح في السنة

أما في السنة النبوية، فقد ورد الحث على التسبيح في أوقات ومواضع مخصوصة:

أولاً: التسبيح مائة مرة في اليوم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ». [رواه البخاري: ٦٤٠٥، ومسلم: ٢٦٩١].

ثانياً: التسبيح في أذكار الصباح والمساء

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ». [رواه مسلم: ٢٦٩٢].

ثالثاً: التسبيح عند استفتاح الصلاة

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ». [رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ للهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ الْقَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وَكَذَا؟» قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «عَجِبْتُ لَهَا، فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ». قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ. [رواه مسلم: ٦٠١].

رابعاً: التسبيح في الركوع والسجود

كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ» في الركوع، و«سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى» في السجود، وكان يقول أيضاً: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ». [رواه مسلم وأبو داود].

خامساً: التسبيح عند القيام من المجلس

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، فَقَالَهَا فِي مَجْلِسِ ذِكْرٍ، كَانَتْ كَالطَّابَعِ يُطْبَعُ عَلَيْهِ، وَمَنْ قَالَهَا فِي مَجْلِسِ لَغْوٍ، كَانَتْ لَهُ كَفَّارَةً». [رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني].

عشر ثمار وفوائد للتسبيح

عباد الله ، للتسبيح ثمار وفوائد يجنيها المسبح في عاجل أمره وآجله، ومن أهمها:

أولاً: حصول المسبح على راحة النفس ورضا الرب

قال سبحانه: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠ ﴾ [طه: ١٣٠-١٣١].

لاحظ كيف استوعب التسبيح سائر اليوم. هل تريد الرضا النفسي-؟ وهل تريد أن يرضى عنك ربك؟ طبق هذه الآية بتسبيحك في الليل والنهار. وقصص الصالحين في استجابة الدعاء وتفريج الكرب بالتسبيح كثيرة مشهودة.

ثانياً: النجاة من كربات الدنيا وإجابة الدعاء

قال الله تعالى في قصة يونس عليه السلام: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

وقال: ﴿ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤ ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤].

جعل الله التسبيح سبباً في حفظه من الغرق، وحماية جسده الضعيف، وتحويل الحوت إلى مركب يوصله للبر سالماً.

وعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ هُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ قَطُّ فِي شَيْءٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ». [رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني].

ثالثاً: سعة الرزق

كما مر معنا في وصية نوح عليه السلام لابنه: «وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ؛ فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ». [أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد]. فمن أراد سعة الرزق، فليكثر من التسبيح.

رابعاً: مغفرة الذنوب وثقل الميزان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ». [متفق عليه]. وَقَالَ ﷺ: «وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَآنِ -أَوْ تَمْلَأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ». [رواه مسلم].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد: عباد الله ومن ثمرات التسبيح:

خامساً: كسب حسنات كثيرة في أوقات يسيرة

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟» فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ». [رواه مسلم].

سادساً: يعدل ذكر الله ليلاً ونهاراً

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِكَ اللهَ اللَّيْلَ مَعَ النَّهَارِ وَالنَّهَارَ مَعَ اللَّيْلِ؟ أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَسُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَقُولُ الْحَمْدُ مِثْلَ ذَلِكَ». [رواه أحمد وابن خزيمة، وصححه الألباني].

سابعاً: الفوز بغرس نخلة في الجنة

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ مَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ بِهَا نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ». [رواه الترمذي والحاكم، وحسنه الألباني]. أين الغارسون؟ وكم نفرط في أوقاتنا ونخسر نخلاً في جنة عرضها السماوات والأرض!

ثامناً: علاج للصدور وترياق للقلوب

علاج للقلق، والوساوس، والهموم، والأحزان، والأوجاع، وضيق الصدر. قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الحجر: ٩٧]. وهذا الضيق يحتاج لبلسم شافٍ وعلاج وافٍ، وهو: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الحجر: ٩٨]. وكم من أناس أصيبوا ببلايا ومتاعب فأكثروا من التسبيح، فشفاهم الشافي سبحانه.

تاسعاً: يعدل قيام الليل والصدقة ومقاتلة العدو

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ هَالَهُ اللَّيْلُ أَنْ يُكَابِدَهُ، أَوْ بَخِلَ بِالْمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ، أَوْ جَبُنَ عَنِ الْعَدُوِّ أَنْ يُقَاتِلَهُ، فَلْيُكْثِرْ مِنْ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ؛ فَإِنَّهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ يُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ». [رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني].

عاشراً: معين على الصبر وتحمل أذى الخلق

ولهذا أمر الله ﷻ به نبيه محمدًا ﷺ في كثير من المواضع، ليكون له فيه العون على الصبر وتحمل المشاق في الدعوة إلى الله.

قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق: ٣٩]. وقصة من رأى أباه المتوفى في المنام وقد عاد شاباً نضراً بسبب كثرة تسبيحه في الدنيا، لعبرة لمن اعتبر، ودليل على أن التسبيح يجدد حيوية المؤمن ويبيض صحائفه.

عباد الله، اجعلوا التسبيح ديدنكم، وردكم اليومي، وسلاحكم في الشدائد. فلا تمرنَّ ساعة من ليلكم أو نهاركم إلا وأن ألسنتكم رطبة بذكر الله.

﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

اللهم اجعلنا من المسبحين لك في الغدو والآصال، من الذاكرين لك كثيراً، من الشاكرين لنعمك ظاهرها وباطنها.

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب:٥٦].

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...

التعاون

الحمد لله الذي وفّق من شاء لمكارم الأخلاق، وهداهم لما فيه فلاحهم يوم التلاق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الخلاق.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل البشر على الإطلاق.

يَا مَنْ شَكَوْتَ تَعَاسَةً وَهُمُومًا * وَرَجَوْتَ مِنْ بَعْدِ الشَّقَاءِ نَعِيمَا

اللهُ يَكْفِي هَمَّ مَنْ صَلَّوْا عَلَى * طِبِّ الْقُلُوبِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمَا

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا عباد الله، اتقوا الله ﷻ حق تقاته، وسارعوا إلى مغفرته ومرضاته، ونافسوا وسابقوا للفوز بجناته، فوالله لن ينفع الإنسان بعد مماته إلا ما قدم من الصالحات والقربات في حياته. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

حقيقة التعاون وقيمته في الإسلام

عباد الله، لا يمكن لأي إنسان -مهما آتاه الله من أسباب- أن يعيش على الأرض منفرداً، فالإنسان اجتماعي بطبعه؛ الفرد يحتاج للجماعة، والجماعة تحتاج للفرد، حتى تسير الحياة بأفضل صورة، وهذا هو "التعاون". وما أدراكم ما التعاون؟

التعاون: سبب للاجتماع والمحبة، وتآلف القلوب، ونبذ الفرقة. قال جل وعلا: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

التعاون: سبب في قوة المؤمنين، واجتماع كلمتهم، وخوف الأعداء منهم. فنحن أقوياء يهابنا الأعداء ما دمنا متعاونين، متآخين، متألفين؛ لا عصبيّة بيننا، ولا عنصرية، ولا طائفية، ولا مذهبية، ولا حزبية. يقول ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا». [متفق عليه].

التعاون: سبب لعون الله، فالجزاء من جنس العمل؛ فمن أعان أخاه أعانه الله. كما قال المصطفى ﷺ: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا دَامَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ». [رواه مسلم].

التعاون منهج رباني وضوابطه

التعاون بين المسلمين مطلب رباني، ومنهج إيماني، أمر الله به في كتابه، شريطة أن يكون على البر والتقوى، ولا يكون على الإثم والعدوان. فقال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة: ٢].

البر: هو فعل الخيرات، التقوى: هي ترك المنكرات.

فنحن مأمورون بالتعاون على فعل الخيرات وترك المنكرات، ومنهيون عن التعاون على المآثم والمحرمات. ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧].

وكل من أعان على خير كان له مثل أجره، وكل من أعان على شر كان له مثل وزر فاعله.

الرسول المصطفى ﷺ حثنا على التعاون، وهو معنى نستشعره من قوله: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». [متفق عليه].

بأن تفرح لفرحي، وتحزن لحزني، وتمد يد المعونة عند احتياجي إليك، ترشدني إذا غويت، وتهديني إذا ضللت، تحفظ مالي وعرضي غائباً وحاضراً، تحب لي ما تحب لنفسك، وتكره لي ما تكره لنفسك.

أيها الكرام، عافاكم الله، لو أن الأمة اليوم تعاونت على البر والتقوى، ولم تتعاون على الإثم والعدوان، لأصبحت الأمة في مصاف الدول العظمى. لا تزال أمة الإسلام بخير وسلامة ورقي، ما شاع بين أفرادها روح التعاون، والتكافل، والشعور بالآخر، بعيداً عن مراتع الأنانية والأثرة.

أين روح التعاون والأخوة فيما يحصل لإخواننا في غزة؟ يموتون من القصف والجوع والبرد! أين ذهبت الشعوب العربية؟ وأين اختفى مليارا مسلم؟ لعلها المرة الأولى في تاريخ الصراع مع المحتل، التي تصل فيها أخبار المجازر والمذابح بالصوت والصورة فور وقوعها، والأمة عاجزة كجثة جامدة مخدرة لا تقوى على الحركة! أين قول النبي ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»؟ [متفق عليه]، الأمة ما تزال بخير ما أحس المسلم بأخيه المسلم، ما أحس الغني بالفقير، والواجد بالمعدوم، حديثنا عن التعاون والتكافل لأنه واجب الوقت، في ظل الغلاء والضيق والفقر، التعاون والتكافل من أوجب الأعمال وأفضلها عند الله هذه الأيام: بإطعام الجائع، وكساء العاري، وإعانة المحتاج. في هذا الزمان تظهر معادن الرجال؛ فدرهم في زمن الضيق والجوع والغلاء يسبق ألف درهم في غيره.

يقول رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا أَهْلِ عَرْصَةٍ أَمْسَوْا وَفِيهِمْ جَائِعٌ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللهِ وَرَسُولِهِ». [رواه أحمد، وصحح إسناده أحمد شاكر].

يا من أغناكم الله، كثروا حسناتكم بصدقاتكم، وكفروا عن خطاياكم بإنفاقكم. «فَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ». [رواه الترمذي]. و«صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ». [رواه الطبراني]. «فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ». [متفق عليه].

عشر مجالات للتعاون المشروع

أيها المؤمنون، قد يقول قائل: فيما نتعاون؟

أولاً: نتعاون لنصرة المظلوم، ومساعدة المسكين، وتزويج العازب.

ثانياً: نتعاون ليذكر بعضنا بعضاً، وينصح بعضنا بعضاً في أمور الدين والدنيا. نذكر بعضنا بالصلاة في أوقاتها، والمحافظة على الجمعة، والتبكير لها؛ لتجتمع كلمتنا، وتتألف قلوبنا، وتزاد هيبتنا، ويرضى عنا ربنا. هل تعلمون أنه أثناء صلاة الجمعة والأسواق قائمة، أن هذا ليس مجتمعاً مسلماً حقاً؟ كيف سنُرحَم والأسواق قائمة أثناء الجمعة؟!

ثالثاً: نتعاون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحكمة ومعروف؛ لنحمي مجتمعنا من المنكرات، وننال الخيرية من رب الأرض والسماوات. ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

رابعاً: نتعاون على تعليم كتاب الله لأنفسنا وأولادنا؛ لنصبح من خير الناس.

كما قال ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ». [رواه البخاري]. فالقرآن به رفعتنا وعزنا وكرامتنا. قال جل وعلا: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٠].

خامساً: نتعاون على قضاء دين المدينين والمعسرين. قال ﷺ: «وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ». [رواه مسلم]. عجيب أن تخرج الزكوات والصدقات، وننسى دين المدينين الغارمين، وهو مصرف من مصارف الزكاة! عجيب أن تخرج الزكوات والصدقات، وننسى تزويج العازبين، وإنقاذهم من الغرق في الفتن والشهوات!

سادساً: التعاون في التأليف بين قلوب المسلمين، والإصلاح فيما بينهم. بلى، جعلها الإسلام أفضل من الصيام والقيام. فعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قالوا: بلى. قال: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ». [رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني].

سابعاً: يتعاون الزوجان في بناء البيت على التقوى والإيمان، والمودة والرحمة والحنان، وتربية الأبناء على الذكر والطاعة والقرآن. وقد كان نبينا محمد ﷺ -كما تقول عائشة ﷺ- يعمل في مهنة أهله، يعاونهم، يساندهم.

ثامناً: يتعاون الزوجان في أمور الآخرة كما يتعاونان في أمور الدنيا. قال عليه الصلاة والسلام: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، فَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، وَرَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ». [رواه أحمد، وحسن إسناده الألباني].

تاسعاً: نتعاون مع رجال الأمن في الحفاظ على الأمن، وكشف خبايا المجرمين والمفسدين، والقضاء عليهم. نتعاون على إزالة الفساد والمفسدين. ومتى يبلغ البنيان تمامه إذا كنت تبني وغيرك يهدم؟

عاشراً: نتعاون في دعم ونصرة المستضعفين والمجاهدين في فلسطين وفي كل مكان. وبالتعاون: نشترك في الأجر العظيم. يقول ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا». [متفق عليه].

أيها المؤمنون، نتعاون لنبني وطننا، ونشيد عمراننا؛ لا ننتظر أحداً يأتي من الخارج.

ذو القرنين -عليه السلام- طلب منه قوم أن يحميهم من فساد يأجوج ومأجوج، وسيَدفَعون له من أموالهم. قالوا: إن يأجوج ومأجوج مفسدون.

فأمرهم بالتعاون أن يعينوه: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ [الكهف: ٩٥].

لا تنتظروا أن تصلح أحوالنا أو تُبنى بلادنا بأقوام من الخارج. لن يرتقي شعبي إلى أوج العلا ما لم يكن بناة من أبنائه.

إنه التعاون: أرأيتم تعاون النبي ﷺ مع أصحابه في حفر الخندق؟ ينقل التراب حتى وارى التراب بياض بطنه، وهو يقول:

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا * وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا * وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

إِنَّ الْأُلَى قَدْ بَغَـوْا عَلَـيْنَا * وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَـةً أَبَيْنَـا

أرأيتم تعاونه مع أصحابه في بناء المسجد؟ فكان ينقل اللبن والحجارة، ويقول: «اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ، فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ». [رواه البخاري].

وإبراهيم عليه السلام قدم مكة، فقال لابنه إسماعيل: إن الله أمرني بأمر. قال: يا أبتاه، افعل ما أمرك الله به. قال: وهل تعينني على ذلك؟ قال: نعم أُعينك عليه. قال: إن الله أمرني أن أبني له بيتاً في هذا المكان، وأشار إلى موضع الكعبة المشرفة. فكان إسماعيل يحمل الحجارة، وإبراهيم يبني، حتى إذا رفع القواعد، أُوتي بالحجر الذي يصعد عليه، وجعل يبني وإسماعيل يمده، حتى استكمل بناء البيت. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧].

ختاماً: أخي الحبيب، لا تضيّع فرصة تستطيع فيها أن تعين أخاك على الخير إلا وبادرت إليها. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

أيها الناس: كما مضى التعاون على البر والتقوى؛ فهناك النهي عن التعاون على الإثم والعدوان، ومن ذلك:

أولاً: أن تعين مجرماً على جرمه في إيذاء أحد أو ظلم أحد، ولو بشطر كلمة.

ثانياً: التعاون على حماية المجرمين، والتستر عليهم، والدفاع عنهم.

ثالثاً: التعاون على أكل أموال الناس بالباطل؛ بأي سببٍ كان، وبأي وسيلة كانت.

رابعاً: ترويج المخدرات والمسكرات؛ باستيرادها، وترويجها، وبثها في شبابنا. فهي أموال خبيثة، ومكسبها خبيث، ونتائجها سيئة، اللهم اجعلنا من المتعاونين على الخير، المتناصرين على البر والتقوى، المتباعدين عن الإثم والعدوان.

اللهم وحد كلمتنا، وألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا .

هذا وصلوا – رحمكم الله – على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...

الشهادة والشهداء

الحمد لله العظيم في قدره، العزيز في قهره، العليم بحال العبد في سره وجهره، يسمع أنين المظلوم عند ضعف صدره، ويجود عليه بإعانته ونصره. أحمده على القدر خيره وشره، وأشكره على القضاء حلوه ومره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الآيات الباهرة: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥].

وأشهد أن نبينا وسيدنا محمداً عبده ورسوله، جاهد في الله حق جهاده، طول عمره وسائر دهره. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ما جاد السحاب بقطره، وطل الربيع بزهره، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا عباد الله، اتقوا الله، ولا تغرنكم الحياة الدنيا بزخرفها ولهوها ولعبها، فما الدنيا إلا ظلٌّ قرب زواله، وزرعٌ حان حصاده، والآخرة خير وأبقى.

﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [النساء: ٧٧].

مأساة غزة.. قلبٌ يتفجر وعينٌ تدمع

عباد الله، إن الأحداث والمآسي التي في غزة تطغى على كل حدث، ولا تدع للإنسان مجالاً أن يتكلم في غير ما يرى.

إن القلب ليتفطر ويحزن، وإن العين لتدمع، ونحن نرى إخواننا يُقتلون بغير وجه حق، تحت سمع العالم وبصره، مع صمتٍ مريبٍ من الدول العربية والإسلامية، التي تخلت عنهم وخذلتهم وخانتهم. وما هذا الصمت والخذلان إلا تحالفٌ مع الصهاينة سراً، وتشجيعٌ لهم علناً، ليبلغوا في جريمتهم إلى أقصى مدى، عسى أن يتحقق حلمهم في القضاء على المقاومة وحماس تحديداً. ولكن هيهات هيهات، خاب المسعى وشاهت الوجوه، وسيفضحون قريباً.

بلغ عدد الشهداء أكثر من أربعةٍ وثلاثين ألف شهيد، منهم أكثر من أربعة عشر ألف طفل، وعشرة آلاف امرأة، وآلاف المسنين. اللهم تقبلهم في الشهداء، وأنزل على أهلهم الصبر والثبات.

وبلغ عدد الجرحى أكثر من سبعة وسبعين ألف جريح، لا بيوت تؤويهم، ولا مستشفيات تداويهم، ولا حدود مفتوحة لهم. إنه سجن كبير، وموت بطيء لآلاف بل مئات الآلاف من إخواننا هناك.

لكن في الحقيقة: ثم بشارات من رب العالمين، ثم رحمات من رب العالمين: أن النصر قادم، وأن ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح: ٦].

وأن النَّصْرُ مِنَ اللهِ وَالْفَتْحُ الْقَرِيبُ وأن النصر إنما هو صبر ساعة. بل إنهم انتصروا عسكرياً، وألحقوا بالعدو خسائر فادحة، وانتصروا بثباتهم وصمودهم.

قيمة التضحية في ميزان الإسلام

أيها المسلمون، إن قيمة تحرير الأرض وطرد المحتل أعظم من خسائر الأرواح. ولذا لا تجد من يلوم الجزائريين على التضحية بمليون شهيد منهم للتحرر من الاستعمار، ولا تجد من يلوم الشعب الليبي على التضحية بنصف الشعب (سبعمائة ألف)، ولا تجد من يلوم الشعب الفيتنامي على التضحية بثلاثة ملايين فيتنامي. فليس غريباً في مفهوم المقاومة إصابة بضعة آلاف من الشهداء والجرحى في حربٍ أُكرهوا عليها.هذا من المنظار السياسي.

أما المنظار الرباني: فإن الشهادة في حد ذاتها مكسب عظيم، وهي الدرجة الثالثة في الجنة بعد درجتي الأنبياء والصديقين. والذين قُتلوا في سبيل الله فلن يضل الله أعمالهم. ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾ [محمد: ٤].

ولذا قال النبي ﷺ لأصحابه: «مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟» قالوا: يا رسول الله، من قُتل في سبيل الله (يعني: من قُتل في المعارك مقاتلاً في سبيل الله). قال: «إِذًا شُهَدَاءُ أُمَّتِي إِذًا قَلِيلٌ»؛ لأن المعارك ليست كل حياة الإنسان.

ثم سرد لهم سرداً مطولاً في أحاديث متفرقة أن الشهداء في هذه الأمة يبلغون عشرين صنفاً من الناس، كلهم مكتوبون عند الله في الآخرة أنهم شهداء.

فمن مات تحت الهدم، أو القصف، أو الغرق، أو المرض مع قلة المستشفيات وإغلاقها، هم مشمولون بالشهادة عند رب العالمين؛ لأن ميتتهم مؤلمة، ليست ميتة طبيعية:

- يموت الإنسان لأنه لا يوجد مستشفيات.

- يموت الإنسان لأنه لا يوجد دواء.

- يموت الإنسان لأنه هُدم عليه بيته.

- يموت الإنسان لأنه عُذب في السجن حتى مات.

هؤلاء كلهم شهداء. هذا من رحمة الله ﷻ بهذه الأمة.

منزلة الشهيد في الإسلام

أما مكانة الشهيد: فللشهيد في الإسلام منزلة عظيمة. كيف لا وقد تمنى النبي ﷺ أن يموت شهيداً في سبيل الله؟ روى الشيخان أن النبي ﷺ قال: «انْتَدَبَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ». [متفق عليه].

ونهي عن وصف الشهيد بالموت: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة: ١٥٤]، الحياة الحقيقية عند الله، بما فيها من الرزق والفرح والاستبشار، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾[آل عمران: ١٦٩-١٧٠].

(عند ربهم): فهذه العندية تكفي. (يرزقون.. فرحين.. يستبشرون).

وجاء عن أبي هريرة ﷺ قال: قيل: يا رسول الله، ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: «لَا تَسْتَطِيعُونَهُ». فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول: «لَا تَسْتَطِيعُونَهُ»! ثم قال: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللهِ، لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ، حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ». [رواه البخاري].

نماذج من حب الشهادة

إنها الشهادة.. المنزلة التي تسابق لها الصحابة والأبطال. فكان الولد يقترع مع أبيه: من يخرج للجهاد؟

ها هو خيثمة بن الحارث ﷺ قبل غزوة بدر: جاء إلى ابن له اسمه سعد -ابن صغير- وكان معه من النساء الكثير، ومعه من البنات والأخوات يعولهن هذا الرجل الكبير. فقال لابنه سعد: يا بني! تعلم نساءنا، وليس لهن من يحميهن، وأريد أن تبقى معهن وأذهب لأجاهد في سبيل الله جل وعلا. قال: يا أبتاه! للنساء ربٌّ يحميهن، والله ما تطمع نفسي في هذه الدنيا بشيء دونك، لكنها الجنة يا أبتاه، والله لو كان غير الجنة لآثرتك به. فاقترعا قرعة، فاز الولد بها، وانطلق يجاهد في سبيل الله، وجلس الأب الكبير مع هؤلاء النساء. وقُتل هذا الابن شهيداً -بإذن الله- في سبيل الله. ويوم جاء الخبر أباه في اليوم الثاني قال: أواه أواه، والله لقد فاز بها دوني، والله لقد كان أعقل مني، لقد رأيته البارحة يسرح ويمرح في أنهار الجنة وثمارها وأزهارها، ويقول: يا أبتاه! الحق بنا، فإنَّا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً.

إنها الشهادة.. كان الزوج يترك زوجته في ليلة زفافه، كما وقع لحنظلة بن أبي عامر ﷺ: سمع "حي على الجهاد"، لم ينتظر حتى يغتسل، أخذ سلاحه وخرج ليُقتل شهيداً. رُئي بعد موته يتقاطر ماء من شعر رأسه.

وهذا حرام بن ملحان يطعن، فيأخذ من دمه ويمسح به، ويقول: فُزتُ ورب الكعبة.

واليوم نرى هذه المشاهد من حب الشهادة والاستشهاد تتكرر في غزة الصمود، غزة التضحية.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية: الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد: **أقسام الشهداء الثلاثة**

عباد الله، الشهداء ثلاثة أقسام كما قال العلماء:

أولاً: شهيد الدنيا والآخرة:

وهو من مات في المعركة في حرب الكفار أو البغاة، ولم يُراءِ، ولم يخُن في الغنيمة، ولم يُقتل مُدبراً عن القتال. وهذا الشهيد لا يُغسل، ولا يُكفن، ولا يُصلى عليه، ويُدفن في ثيابه.

- فلا يُغسل من أجل أن يبقى أثر الدم عليه، فيأتي يوم القيامة وجرحه يسيل دماً، اللون لون الدم، والريح ريح المسك.

- ولا يُكفن، إنما يُكفن في ثيابه التي قُتل فيها.

- ولا يُصلى عليه؛ لأن الصلاة شفاعة، والمقتول في سبيل الله لا يحتاج لأن يشفع له أحد.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لقيني رسول الله ﷺ فقال لي: «يَا جَابِرُ، مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟» قال: قلت: يا رسول الله، استشهد أبي، قُتل يوم أحد، وترك عيالاً وديناً. فقال عليه الصلاة والسلام: «أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللهُ بِهِ أَبَاكَ؟» قلت: بلى يا رسول الله. فقال: «مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا». الله أكبر! أي كلمة مباشرة من دون حجاب. فقال: «يَا عَبْدِي، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ». فقال: يا رب، تحييني فأُقتل فيك ثانية. فقال الرب ﷻ: «إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ» (أي: إلى الدنيا). فقال: يا رب، فابلغ من ورائي (أي: أبلغ أحبابي وأصحابي والمسلمين على ما أنا فيه من النعيم والتكريم).

فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠]، روى الترمذي في سننه من حديث المقدام بن معدي كرب قال: قال رسول الله ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ». [رواه الترمذي، وحسنه الألباني].

ثانياً: شهيد الدنيا فقط:

فهو المقتول في حرب الكفار أو البغاة، وقد خان في الغنيمة، أو قاتل رياءً، أو قُتل مُدبراً، أو خان وطنه وتجسس عليه. فله حكم الشهادة في الدنيا: فلا يُغسل، ولا يُصلى عليه. ولا ثواب له على الشهادة في الآخرة.

ثالثاً: شهيد الآخرة فقط:

بمعنى أن له ثواب الشهيد، ولكنه يُغسل، ويُكفن، ويُصلى عليه، ويُدفن. وهم عشرون صنفاً، وليسوا في الرتبة سواء. أعلاهم:

١. **الشهيد في سبيل الله:** ومن قُتل في طريق الله، في سبيل الله، يعني في أي عمل لله ﷻ، فهو شهيد. كمن مات في طريق الله: مشى في سبيل الله يسعى على أيتام وأرامل وفقراء، أو من يسعى لبناء مسجد، أو يحفر آباراً، أو يدعو إلى الله، أو يطلب علماً يريد بذلك وجه الله، ثم مات، فهو شهيد كما أخبر النبي ﷺ.

٢. **المرابط في سبيل الله:** والموت في الرباط في سبيل الله من أعظم الميتات وأطيبها. هنيئاً للمرابطين على أرض الأقصى، هنيئاً لرجال الأمن المرابطين ليلاً ونهاراً للحفاظ على الأمن. قال عليه الصلاة والسلام: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأُمِنَ الْفَتَّانُ». [رواه مسلم].

٣. **المبطون:** أي: أي شيء يخص البطن (إسهال أو غيره).

٤. **المحروق.**

٥. **الغريق.**

٦. **الموت بالطاعون**: وهي الأمراض الجائحة التي تنتشر بسرعة، مثل كورونا، مثل السرطان، مثل غيره من الأمراض التي تنتشر فتأكل الإنسان سريعاً. إذا مات صابراً محتسباً، فنسأل الله ﷻ أن يكون شهيداً.

٧. **المرأة تموت بجمع**: أي وهي حامل، تموت وفي بطنها ولد.

٨. **النفساء**: كما قال ﷺ: «وَالنُّفَسَاءُ يَجُرُّهَا وَلَدُهَا بِسُرَرِهَا إِلَى الْجَنَّةِ». [رواه أحمد].

٩. **صاحب الهدم**: من ينهدم عليه بيته فيموت، أو يُقصف بيته، أو يموت في زلزال.

١٠. **الموت بالسل**: شهادة.

١١. **من صرع من دابته: فهو شهيد** [رواه الطبراني]. والدابة يُقاس عليها السيارة: من مات في حادث لم يكن مسرعاً فيه، فهو شهيد.

١٢. **من قُتل دون ماله**، أو أهله، أو عرضه، أو مظلمته: فهو شهيد. وهذه الصفات كلها في أهل غزة وفلسطين؛ فهم يدافعون عن الدين، والعرض، والأرض، والأهل.

١٣. **من شهداء الآخرة**: الساعي على نفسه وولده ووالديه: أي: من خرج يسعى على الرزق والكسب الحلال، وفي نيته الخير، ومات بأي وسيلة، فهو في سبيل الله.

وعليه: فإن من مات بهذه الميتات وهو موحد، فإننا نرجو له الحصول على أجر الشهادة.

عباد الله، إن الشهداء في غزة وفلسطين يكتبون بأقلام من نور صفحاتٍ مشرقة في تاريخ هذه الأمة. دماؤهم الزكية، وأجسادهم الطاهرة، وأنفاسهم الأخيرة وهي تهلل وتكبر، كل ذلك شهودٌ على صدق إيمانهم، وثبات يقينهم، وحسن ظنهم بربهم.

اللهم تقبل شهداءنا في عليين، وارفع درجاتهم في غرفات الجنة، واجمعنا بهم في مستقر رحمتك.

اللهم اشفِ جرحانا، وفك أسرانا، وارحم موتانا، وانصر إخواننا المستضعفين في غزة وفلسطين.

اللهم أغثهم يا مغيث، واجعل لهم من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ومن كل بلاء عافية.

هذا وصلوا – رحمكم الله – على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾

[الأحزاب:٥٦]

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...

حُرمة التهجير في الإسلام

الحمد لله الحكيم العليم، الرؤوف الرحيم؛ بحكمته وعلمه ابتلى عباده المؤمنين، وبرأفته ورحمته أعانهم على البلاء المبين، وكتب لهم الأجر العظيم. ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾ [آل عمران: ١٩٥].

نحمده حمدًا كثيرًا، ونشكره شكرًا مزيدًا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ عظُم حلمه على عباده فأمهلهم، واستدرج المجرمين وأملى لهم، حتى إذا أخذهم لم يفلتهم.

﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٤ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ٤٥﴾ [القلم: ٤٤-٤٥].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ أُخِيفَ في الله تعالى وما يُخاف أحد، وأُوذِيَ في ذاته سبحانه وما يُؤذى أحد، وأُخرِجَ من أرضه، وطُوِّردَ هو ومن معه، وألقى نظرة على مكة وهو يفارقها مكرهاً فقال: «مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ! وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ». [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى وأطيعوه؛ فإن في التقوى مخارج من المضايق، وسكينة عند المصائب، ونجاة يوم التغابن.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الزمر: ٦٠-٦١].

التهجير من أشد الابتلاءات

أيها الناس، من أشد الابتلاء وطأة على النفوس: الإخراج من الديار، والطرد من الأوطان، والتهجير بقوة السلاح؛ لأن فيه تركاً لمألوف النفوس، وإقبالاً على المجهول. فلا عجب أن يقول النبي ﷺ عن مكة: «مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ! وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ». [رواه الترمذي، وصححه].

إن تهجير الإنسان من وطنه وإبعاده عن أرضه دون حق، عظيم على النفوس؛ وهو أخو القتل ضرراً وأذى، لذا قرن الله بينهما فقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾ [النساء: ٦٦]، والقارئ للقرآن والتاريخ يرى كيف كان إخراج الرسل وأهل الإيمان من بلادهم وديارهم إحدى وسائل المجرمين أهل الطغيان على مدار الزمان. قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ [إبراهيم: ١٣].

هكذا المساومة: الطرد والتهجير، أو الذوبان في الباطل والموافقة مع الإذعان.

هذا المطلوب: التهجير مقابل الدين.

نماذج من تهجير الأنبياء والصالحين

لقد قام شعيب في قومه بالتوحيد والإيمان، نهاهم عن الفساد والتطفيف في الميزان، فقام الملأ من قوم شعيب يهددونه بالإخراج والتهجير قائلين: ﴿لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ ٨٨﴾ [الأعراف: ٨٨].

وها هو لوط ينهى قومه أهل الخبائث عن الفواحش، فقاموا يتوعدونه بالتهجير والإخراج قائلين: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ١٦٧﴾ [الشعراء: ١٦٧].

وهذا نبينا الكريم ﷺ، سمع أول ما سمع لما نزل عليه الوحي، أخبره ورقة بن نوفل بسيرة أهل الإجرام على مدار الزمان، قائلًا: «يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟» قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ. [رواه البخاري ومسلم].

أمة الإسلام بين الإبادة والتهجير

أمة الإسلام هي أكثر أمة في التاريخ البشري كله عانت من الإبادة والتهجير، وهي أعفُّ الأمم عن ممارسة الإبادة والتهجير على غيرها؛ لأن شريعتها سنت قانون الجزية وعقد الذمة، وهو نظام نزل به القرآن الكريم، وشرحته السنة النبوية، وطبقه المسلمون لما كانت الغلبة لهم؛ فأمن غيرهم بقوتهم، وعاشوا في كنف عزتهم، وهو عقد رباني يقتضي عصمة الدماء والأموال والأملاك لمن خالفوا المسلمين في دينهم.

أما كون غير المسلمين أمنوا في حكم الإسلام، ولم يجدوا إبادة ولا تهجيراً؛ فحوادثه كثيرة:

- منها أن اليهود أمنوا من بطش النصارى لما فتح المسلمون الشام ومصر، بدليل أن الكاثوليك لما انتزعوا بيت المقدس في الحملات الصليبية أحرقوا اليهود وهم أحياء، ففر البقية منهم للأندلس فوجدوا الحماية فيها، فلما استولى الكاثوليك على الأندلس طاردوا اليهود وعذبوهم فهربوا للدولة العثمانية التي آوتهم وحمتهم.

- وكذلك حمى المسلمون نصارى الشرق الموارنة والأرثوذكس من بطش الكاثوليك في بلاد الشام؛ حتى كانوا يحبون انتصار المسلمين على بني ملتهم.

- وفي فتح صلاح الدين لبيت المقدس كان قادراً على إبادة أبناء الصليبيين وأحفادهم الذين أبادوا المسلمين فيها قبل الفتح بتسعين سنة، لكنه لم يفعل ذلك، وأمّنهم وعفا عنهم.

- ولما فتح محمد بن مراد القسطنطينية أمّن أهلها الأرثوذكس، وعفا عنهم رغم قتالهم للمسلمين، في حين أن إخوانهم الكاثوليك قد أبادوهم وأهانوهم في الحملة الصليبية الرابعة.

ما عاناه المسلمون من الإبادة والتهجير

وأما ما عاناه المسلمون من الإبادة والتهجير بأيدي أعدائهم فكثير وكثير جداً، تمتلئ به جنبات التاريخ، وتشهد عليه البلدان المغتصبة قديماً وحديثاً:

١. احتلال بيت المقدس في القرن الخامس: إذ أباد الصليبيون المسلمين، وهجّروا البقية منهم؛ ليستوطنوا بلاد الشام ومصر، وعانى المسلمون منهم زهاء مئتي سنة.

٢. غزو التتر: جاء التتر بجحافلهم فأبادوا أهل بغداد وما حولها.

٣. سقوط الأندلس: انتزع الصليبيون الأندلس من المسلمين فأبادوهم وهجروهم، واقتلعوا حضارة تفيأ الناس ظلالها، وأمنوا في حكوماتها المتعاقبة ثمانية قرون على اختلاف مللهم ونحلهم.

٤. الصفويون في خراسان: لما استولى الصفويون الباطنيون على خراسان وما حولها أبادوا أهل السنة فيها، وقتلوا مليون نفس، وهجّروا البقية أو شيّعوهم، ثم كرر أحفادهم ذلك بأهل عربستان والأحواز، والآن يفعلونه بأهل السنة في العراق وجنوب لبنان.

٥. تركستان الشرقية: تسلط البوذيون على المسلمين في تركستان الشرقية، فأبادوا منهم خلقاً جاوزوا المليون، وهجّروا الملايين حتى انخفضت نسبة المسلمين فيها من تسعين في المائة إلى ستين في المائة. وفعل الهندوس في الهند بالمسلمين فعل أقرانهم البوذيين.

٦. بورما (ميانمار): ولما قامت الشيوعية زاد تسلط البوذيين على المسلمين في تركستان وسائر أرجاء الصين وميانمار، ومجازر البورميين وتهجيرهم لا يزال مستمرًّا إلى الآن.

٧. الاتحاد السوفيتي: وفي بلاد الشيوعية الأم هجر ستالين مئات الألوف من شعوب القوقاز المسلمة إلى سيبيريا ليهلكهم بالجوع والبرد، بعد أن أباد عشرين مليون مسلم.

٨. البوسنة والهرسك: وقبل عقدين، وفي البلقان سُلِّط الصرب والكروات على مسلمي البوسنة والهرسك وكوسوفو ليبيدوهم، فقتلوا عشرات الآلاف من المسلمين في قلب الحضارة الغربية، وتحت سمعها وبصرها.

٩. الهند وكشمير وسريلانكا: والهندوس في الهند وكشمير وسريلانكا هجّروا مسلمين من بلدانهم لتوطين الهندوس فيها، وإخلائها من أهلها.

١٠. أراكان (روهنغيا): وتهجير المسلمين من أراكان المسلمة تحمله الأخبار إلى الناس كل يوم؛ ليُخْلُوها للبوذيين الذين جِيءَ بهم من بلدانهم ليستوطنوا ديار المسلمين.

١١. فلسطين: وبعد تهجير المسلمين التتار والقوقاز بأربع سنوات فقط جِيءَ بالصهاينة إلى القدس، وتم تهجير أهلها منها بالقوة، وأُعطيَتْ أملاكهم لليهود المُجَمَّعِينَ من الآفاق؛ ليفسدوا في الأرض المباركة.

تهجير فلسطين.. جريمة مستمرة

إن تهجير الكفار للمؤمنين من أرضهم كان ولا يزال، ومن ذلك ما فعله ويفعله اليهود والصهاينة بتآمر صليبي على المسلمين في أرض الإسلام، أرض فلسطين.

منذ ما يقرب من ثمانين عاماً قامت عصابات اليهود بالعدوان على المسلمين في أرض فلسطين، فأثخنوا فيهم بالمذابح والقتل والتشريد، حتى هجّروا منهم مئات الآلاف بقوة الإرهاب والسلاح، وجاء شذاذ الآفاق من أقطار الدنيا يبحثون عن وطن لقيط ليس لهم فيه نسب، فإن الأرض المقدسة لأهل الإيمان وليست للمحرفين قتلة الأنبياء.

قامت المؤامرة ولم تنتهِ، تعاون بين اليهود والصليبيين وغيرهم من أعداء المسلمين، في حرب إبادة على شعب أعزل، ليس له ذنب إلا أنه يدين بالإسلام ويبتغي تحرير أرضه من محتَلٍّ كافر، فقتلوا منهم عشرات الآلاف، يمكرون ليل نهار لطردِهم من أرضهم وتشريدهم في أقطار الدنيا.

وتهجير أهل السنة من ديارهم في العراق والشام واليمن على يد الرافضة وأذنابهم.

فهل تجدون أمة لحقها التهجير والإبادة في تاريخها الطويل كما لحق أمة الإسلام؟ كلا والله، ولا نصفه ولا خمسه ولا عشره، ودونكم كتب التاريخ فليقرأها من ظن غير ذلك. ومع ما لحق أمة الإسلام من الإبادة والتهجير على أيدي أعدائها، فإنه ما زادها إلا تمدداً وانتشاراً في أرجاء الأرض، والله تعالى متم نوره، وناصر جنده، ومعلٍ كلمته. ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾ [الأنفال: ٧-٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

ثبات أهل غزة ورفض التهجير

ألا فليعلم الصهاينة ومن يقف وراء الصهاينة أن الفلسطينيين ثابتون، صامدون، صابرون، محتسبون، ينزفون نفوساً ودماءً وأرواحاً، وما غير أنهم يأبون أن يُنتزعوا من أرضهم ويُهجّروا من ديارهم، مصرّين على أن يعيشوا عليها كرماء، أو يموتوا شهداء. فإما حياة تسر الصديق، وإما ممات يغيظ العدا.

مهما حاول الاحتلال، فإن الفلسطينيين الأبطال صامدون صمود الجبال، وهم يقولون بلسان الحال وبلسان المقال:

أَتَظُنُّ أَنَّكَ عِنْدَمَا أَحْرَقْتَنِي * وَرَقَصْتَ كَالشَّيْطَانِ فَوْقَ رُفَاتِي
وَتَرَكْتَنِي لِلذَّارِيَاتِ تَذُرُّنِي * كُحْلًا لِعَيْنِ الشَّمْسِ فِي الْفَلَوَاتِ
أَتَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ طَمَسْتَ هُوِيَّتِي * وَمَحَوْتَ تَارِيخِي وَمُعْتَقَدَاتِي
عَبَثًا تُحَاوِلُ... لَا فَنَاءَ لِثَائِرٍ * أَنَا كَالْقِيَامَةِ ذَاتَ يَوْمٍ آتِي

غزة ليست عقاراً يباع ويشترى، بل هي جزء لا يتجزأ من أرض فلسطين، ولن يقبل أهلها أبداً بديلاً عن وطنهم وأرضهم.

وهو مشهد زحفهم في طريق عودتهم إلى شمال القطاع سيراً على الأقدام، كان ملهماً وبليغاً في توصيل رسالة واضحة للعالم كله أن العودة حق مشروع، بل هي أساس البنيان.

وفي الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي وسننه حسناً صحيحاً عن سعيد بن زيد ﷺ أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ». [رواه أبو داود والترمذي، وحسنه الألباني].

التحذير من معاونة المجرمين

إن تهجير المؤمنين جريمة شنيعة، وإن المعاون عليها شريك فيها، فالذي يُخرِجُ المؤمنين والذي يُظاهِرُ أو يُعَاوِنُ على إخراجهم سيّان في الحكم والإجرام، كما قرن سبحانه بين الجرمين فقال: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة: ٩]، فكل من ظاهر وأعان وأيّد اليهود في تهجير المسلمين عن أرضهم، فهو مجرم عدو للإسلام والمسلمين.

أيها الناس، ما أحوج المسلمين في هذا الظرف العصيب، وفي هذه الأيام الحافلة بالأحداث المتسارعة، وما تحمله من مفاجآت وأحداث كبرى، إلى تقوية إيمانهم بالله تعالى، واليقين بنصره لعباده، والثقة بدينهم الذي يحتشد العالم كله لحربه فيعجز عن استئصاله!

إنه دين عظيم عاش في كنف دوله المتعاقبة أهل الملل والنحل والطوائف، فأقام العدل فيها، ورفع الظلم عنها، ولم يُضطر إلى تهجير أهلها أو إبادتهم.

وإنه دين من تمسك به فهو منصور، ومن تخلى عنه فهو مخذول، فلن ينتصر الباطل ولو سوّق له أقوى الناس، ولن يُهزم الحق ولو حمله أضعف الناس.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر:٥١]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧]، ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾﴾ [محمد: ٧-٨]، فلْنتمسك بديننا، ونقوِّ إيماننا، وتجتَمعْ كلمتنا، ونُزِلْ أسباب التفرق والاختلاف بيننا. ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ﴾[آل عمران:١٠٣]، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٦].

عباد الله، إن الثبات على الأرض، والصمود في وجه الطغاة، ورفض التهجير والإذلال، من أعظم علامات الإيمان الصادق. ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣].

اللهم اجعلنا من الصابرين الثابتين، المنصورين بنصرك، المؤيدين بتأييدك.

اللهم انصر إخواننا في غزة وفلسطين، اللهم أحصِهم عدداً، واحفظهم فرداً فرداً، واشفِ جرحاهم، وارحم موتاهم، وفك أسرهم، اللهم أغثهم يا مغيث، واجعل لهم من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ومن كل بلاء عافية، هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية، محمد بن عبد الله، صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب:٥٦]، اللهم صلِّ وسلم على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

خُلق الوفاء (١)

الحمد لله العليم الخبير، السميع البصير، أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، لا إله إلا هو إليه المصير. أحمَدُ ربي وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، العلي الكبير. وأشهد أن نبيَّنا محمداً عبد الله ورسوله، البشير النذير والسراج المنير. اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه ذوي الفضل الكبير.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله، وطاعته وخشيته ومراقبته، فتقوى الله تعالى حصن أمام كل فتنة، وعدة في كل محنة، ووقاية من كل نقمة. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾ [الحديد: ٢٨].

الوفاء خُلق عظيم ضاع بين الناس

نعيش اليوم وإياكم مع خُلق من أخلاق القرآن، مع خصلة كريمة من خصال الكرام، وشعبة عظيمة من شُعب الإيمان، وشيمة كريمة من شيم الرجال حتى في الجاهلية قبل الإسلام.

إنه خُلق الوفاء بالعهد.

نتكلم عن الوفاء في زمن قل فيه الأوفياء.

نتكلم عن الوفاء في زمن ظهر فيه الخذلان في أبشع صوره.

عباد الله، الوفاء خصلة كريمة من خصال الإسلام. فما ظنكم بدين ركنه وعماده الأخلاق؟ فما جاء الإسلام إلا ليعلي وليشيد بنيان الأخلاق.

مؤمن بلا وفاء بالعهد والميثاق، ضعيف الإيمان، إيمانه ناقص، دينه فيه خلل. اسمع كلمات حبيبك وهي ترج الآفاق. يقول النبي ﷺ: «لَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ، وَلَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ». [رواه أحمد والطبراني، وصححه الألباني].

فضائل الوفاء وعواقب الغدر

الوفاء: إنه خُلق الكرام، به يسعد الفرد في الدنيا والآخرة، وبه يعيش المجتمع في أمن وأمان؛ فالحقوق محفوظة، والأعراض مصونة، والحب والتراحم يسود بين أفراد المجتمع.

بل ضمن النبي ﷺ الجنة للأوفياء. عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَأَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا ائْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ». [رواه أحمد، وصححه الألباني].

الوفاء يرتقي به المسلم أعلى الدرجات، ويقترب به من رب البريات. كيف لا؟ والأوفياء هم خيار الناس. عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ خِيَارَ عباد الله الْمُوَفُّونَ الْمُطَيَّبُونَ». [صححه الألباني].

بينما المخادعون الغادرون الخائنون يفضحون على رؤوس الخلائق يوم القيامة. عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رُفِعَ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ». [رواه مسلم].

ما الوفاء؟

الوفاء: أن تأخذ الحق الذي لك، وتؤدي الواجب الذي عليك.

الوفاء: هو الاعتراف بالفضل، ورد الجميل لمن أسدى إليك معروفاً أو مدَّ إليك يداً.

الوفاء: أخو الصدق والعدل، والغدر: أخو الكذب والجور.

الوفاء: كلمة حب وصفاء، في حروفها الإخلاص والنقاء، أجمع على تقديرها العقلاء.

أيها المسلمون، صاحب الوفاء الأوفى والأعلى هو الله جل في علاه.

﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١].

وقال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة: ٤٠].

وقال أيضًا: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ﴿٨٠﴾﴾ [البقرة: ٨٠].

ومن دعاء النبي ﷺ في صلاة الجنازة: «اللَّهُمَّ إِنَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ فِي ذِمَّتِكَ وَحَبْلِ جِوَارِكَ، فَقِهِ فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَعَذَابَ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالْحَمْدِ».

[رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني].

وقد أمر الله تعالى بالوفاء بالعهد، فقال جل شأنه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٤]. وقال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ﴾ [النحل: ٩١]، وأثنى الله على الذين يوفون بالعهود، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ ﴾ وبيَّن جزاءهم: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ [الرعد: ١٩-٢٣]، وحين أثنى الله على أنبيائه، أثنى عليهم بصفة الوفاء لعظمتها وبركتها. فقال تعالى متحدثاً عن سيدنا إسماعيل عليه السلام: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾ [مريم: ٥٤].

وقال عن خليله إبراهيم: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النجم: ٣٧].

بل جعل ﷻ الوفاء أخص خصائص الفئة المؤمنة، حيث قال في معرض وصفهم:

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ٨].

النبي ﷺ أوفى الأوفياء

وقد كان نبينا وحبيبنا محمد ﷺ أوفى الأوفياء.

خَيْرُ الْبَرِيَّةِ أَقْصَاهَا وَأَدْنَاهَا * وَهُوَ أَبَرُّ بَنِي الدُّنْيَا وَأَوْفَاهَا

أَتَى بِهِ اللهُ مَبْعُوثًا وَأُمَّتُهُ * عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَأَنْجَاهَا

وَأَبْدَلَ الْخَلْقَ رُشْدًا مِنْ ضَلَالَتِهِمْ * وَفَلَّ بِالسَّيْفِ لَمَّا عَزَّ عُزَّاهَا

عليه الصلاة والسلام عدد نجوم السماء، وعدد قطر الماء، خاتم المرسلين وأمام الأتقياء.

كان وفيًّا حتى مع الكفار:

١. وفائه مع المشركين الذين ردوا الأمانات:

ها هو يأمر علي بن أبي طالب أن يبيت في فراشه ليلة الهجرة؛ كي يرد الأمانات إلى أهلها، حتى لو كانوا مشركين. أوليس هو القائل:

«أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»؟ [رواه أبو داود والترمذي، وحسنه الألباني].

٢. وفائه مع المطعم بن عدي:

وحين رجع من الطائف حزيناً مهموماً بسبب إعراض أهلها عن دعوته، وما ألحقوه به من أذى، لم يشأ أن يدخل مكة كما غادرها، إنما فضَّل أن يدخل في جوار بعض رجالها. فقبل المطعم بن عدي أن يدخل النبي ﷺ مكة في جواره، فجمع قبيلته ولبسوا دروعهم وأخذوا سلاحهم، وأعلن المطعم أن محمداً في جواره. ودخل النبي ﷺ الحرم، وطاف بالكعبة، وصلى ركعتين. ثم هاجر وكون دولة في المدينة، وهزم المشركين في بدر، ووقع في الأسر عدد لا بأس به من المشركين. فقال النبي ﷺ: «لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى، لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ». [رواه البخاري]. فانظروا إلى الوفاء حتى مع المشركين!

٣. وفائه مع أبي البحتري بن هشام:

وهذا أبو البحتري بن هشام؟ إنه أحد الرجال القلائل من المشركين الذين سعوا في نقض صحيفة الحصار والمقاطعة الظالمة التي تعرض لها رسول الله وأصحابه في شعب أبي طالب.

فعرف له الرسول جميله وحفظه له. فلما كان يوم بدر قال ﷺ: «مَنْ لَقِيَ أَبَا الْبَحْتَرِيِّ بْنَ هِشَامٍ فَلَا يَقْتُلْهُ». يا لعظمة هذه الأخلاق، ويا لروعة هذا الوفاء!

٤. وفائه لعمه أبي طالب:

النبي ﷺ يرد الجميل لعمه أبي طالب الذي تكفل بتربيته بعد وفاة جده عبد المطلب، فلا ينسى له ذلك. فحينما يتزوج السيدة خديجة رضي الله عنها، يأخذ ابن عمه علياً في كنفه ورعايته، رداً لجميل عمه ومساعدة له.

وفاء النبي يوم فتح مكة

ولا ننسى وفاءه ﷺ في يوم البر والوفاء: يوم فتح مكة، الذي نزل فيه قوله تعالى:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨]، لما نزل ﷺ بمكة واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت، فطاف به. فلما قضى طوافه، دعا عثمان بن طلحة ليأخذ منه المفتاح، فاختبأ عثمان فوق الكعبة، فتبعه عليٌّ وأخذ منه المفتاح عنوة، وفتح الباب، فدخل رسول الله البيت وصلى فيه ركعتين. فقام إليه العباس، ومفتاح الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية. فقال رسول الله ﷺ: «أَيْنَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ؟» فدعي له، فأمر رسول الله علياً أن يرد المفتاح إلى عثمان بن طلحة ويعتذر إليه، ففعل ذلك عليٌّ، فقال له: «هَاكَ مِفْتَاحَكَ يَا عُثْمَانُ، الْيَوْمَ يَوْمُ بَرٍّ وَوَفَاءٍ».

فقال له عثمان: يا علي، أكرهت وآذيت، ثم جئت ترفق؟ فقال: لقد أنزل الله في شأنك قرآناً، وقرأ عليه هذه الآية. [تفسير ابن كثير]، وتكريماً لشأن عثمان والوفاء، خصه ﷺ وذريته من بعده بسدانة البيت والمفتاح، فقال: «خُذُوهَا يَا بَنِي طَلْحَةَ خَالِدَةً تَالِدَةً، لَا يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إِلَّا ظَالِمٌ»، يعني حجابة الكعبة. [مجمع الزوائد].

ولما مات عثمان، سلمه لابنه شيبة، وما زال المفتاح حتى يومنا هذا في بني شيبة.

وفاء النبي لأهله وأقاربه

تأتيه أخته من الرضاعة، وقد ابتعدت عنه ما يقارب أربعين سنة، فتأتيه وهو لا يعرفها وهي لا تعرفه. مرت سنوات وأيام وأعوام، وتسمع وهي في بادية بني سعد في الطائف بانتصاره، فتأتي لتسلم على أخيها من الرضاع. والناس بسيوفهم بين يديه، وهو يوزع الغنائم بين العرب. فتستأذن، فيقول لها الصحابة: من أنت؟ فتقول: أنا أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، أنا الشيماء بنت الحارث، أرضعتني أنا وإياه حليمة السعدية. فيخبرون الرسول عليه الصلاة والسلام، فيتذكر القربى والوشيجة والعلاقة التي أنزلها الله من السماء.

فهدّأ من روعها، وأجلسها أمامه، وسألها يستوثق حقيقة دعواها: «مَا اسْمُكِ؟» قالت: الشيماء. قال: «فَمَا عَلَامَةُ ذَلِكَ؟» قالت: عضة عضضتنيها في ظهري حين كنت أحملك على وركي – وكشفت فأرته أثرها في ظهرها. فبسط رسول الله ﷺ رداءه لها، وأجلسها عليه، وباسطها الحديث حتى سُرِّي عنها، وقال لها: «يَا أُخْتَاهُ، إِنْ أَحْبَبْتِ أَنْ تَعِيشِي فِي بَيْتِي مُعَزَّزَةً مُكَرَّمَةً، فَلَكِ ذَلِكَ وَعَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ، وَإِنْ أَحْبَبْتِ أَنْ أُعْطِيَكِ مِنَ الْمَالِ وَالنِّعَمِ مَا يَرْضِيكِ وَتَرْجِعِي إِلَى قَوْمِكِ فَعَلْتُ».

قالت: بل أرجع إلى قومي يا رسول الله، وتمتعني بما أفاء الله عليك. فمتَّعها رسول الله وأكرمها.

وَفَـــاءٌ، فَلَـــوْ تَرْقَـــى الْكَوَاكِـــبُ نَحْـــوَهُ * لَقَـــدْ بَـــاتَ تِلْمِيـــذًا لَدَيْـــهِ عُطَـــارِدُ

إِلَيْـــهِ انْتَهَـــى النُّـــورُ الْمُبِـــينُ الَّـــذِي بِـــهِ * تَبَصَّرَ ضَـــلِيلٌ وَأَذْعَـــنَ مَـــارِدُ

والذي فلق الحب والنوى، وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى، ما دبَّ على الثرى أوفى ذمة، وأنقى سيرة وسريرة، وأوفى بميثاق ووعد وعهد منه ﷻ.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

وفاء النبي لأمته ولأصحابه

وما أجمل وفاء النبي ﷺ بأمته كلها! فعن عبد الله بن عمرو بن العاص: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ ﷻ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ». [رواه مسلم]. فهل بعد ذلك من وفاء؟!

وفى ﷺ للأنصار حين بايعوه بيعة العقبة، وخشي بعضهم بعد حنين أن يعود لقومه، فتبسم ﷺ وقال: «بَلِ الدَّمُ الدَّمُ، وَالْهَدْمُ الْهَدْمُ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ، وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ».

ويفي لجعفر ﷺ في حياته وبعد مماته. فحين استشهد بمؤتة، حزن عليه النبي ﷺ، وطلب أبناءه فشمهم، وذرفت عيناه عليه، وأوصى أصحابه ألا يغفلوا عنهم، وأن يصنعوا الطعام لهم، فقد أتاهم ما شغلهم. ثم جاءهم بعد ثلاثٍ فقال: «لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ»، ودعا بني جعفر فجاؤوا كالأفراخ، فأمر بحلق رؤوسهم، ثم دعا لهم: «اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ». وقال لأمهم لما ذكرت يُتْمَهم وجعلت تحزنه عليهم: «الْعِيلَةُ عَلَيْهِمْ تَخَافِينَ، وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟!». الله أكبر!

وَفَـــاءٌ عَظِـــيمٌ قَـــدْ تَضَـــوَّعَ رِيحُـــهُ * نَسِـــيمَ الصَّـــبَا هَبَّـــتْ بِرَيَّـــا الْقَرَنْفُـــلِ

عَلَيْـــهِ صَـــلَاةُ اللهِ مَـــا قَـــالَ قَائِـــلٌ * قِفَـــا نَبْـــكِ مِـــنْ ذِكْـــرَى حَبِيـــبٍ وَمَنْـــزِلِ

فمع أعباء الرسالة، لم ينسَ رسول الله ﷺ أصحابه لله الذين لبَّوا دعوته، وبذل كل منهم في سبيل الله مهجته. فإلى آخر يوم في حياته يذكرهم، يدعو لهم، يزورهم، يستغفر لهم. يوصي الأمة بهم: «احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا، مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». وفي أحد يقف حزيناً على شهدائهم، ويصلي عليهم بعد ثماني سنين مودعاً لهم، ويقول: «أَنَا شَهِيدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِمْ».

وفاء الصديق أبي بكر

وبعد رسول الله ووفاء رسول الله، لقد سجل أتباع محمد ﷺ صفحات مضيئات، أحسن من الدر والعقيان في نحور الحسان، وأزكى من حركات الريح بين الورد والريحان.

أبو بكر ﷺ وأرضاه: لما ولي الخلافة، وفى لرسول الله ﷺ بعد مماته كحياته؛ فأنفذ جيش أسامة على شدة حاجته له، وقال مقالته: «لَا أَتْرُكُ أَمْرًا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَصْنَعُهُ إِلَّا صَنَعْتُهُ».

فقام يفي بالوعود التي وعدها رسول الله ﷺ، وحال الموت بينه وبين الوفاء بها، قائلاً: «مَنْ كَانَ لَهُ عِدَةٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أَوْ دَيْنٌ، فَلْيَأْتِنَا». فما أتاه صاحب وعد أو دين وعده به الرسول إلا وفى له. وفاء له نبرات تهز نياط القلوب وأوتارها.

أبو بكر وفى لدين الله، فقاتل المرتدين، وثبت الله به الدين، وقال مقالة خالدة تُكتب على الحناجر ولو بالخناجر: «لَأُقَاتِلَنَّهُمْ حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، وَلَوْ خَالَفَتْ يَمِينِي لَجَاهَدْتُهَا بِشِمَالِي وَأُخْرَى».

اللهم اجعلنا من الموفين بعهودهم، الصادقين في وعودهم، الأمناء في أماناتهم.

اللهم ارزقنا الوفاء في القول والعمل، والصدق في السر والعلن.

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية، محمد بن عبد الله، صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦] اللهم صلِّ وسلم على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

خُلق الوفاء (٢)

الحمد لله الذي خلق الخلق فأبدعه، وسنَّ الدين وشرعه، ونوَّر النور وشعشعه، وقدَّر الرزق ووزعه، وأجرى الماء وأنبعه، وجعل السماء سقفاً مرفوعاً رفعه، والأرض بساطاً وضعه.

من الذي سأله شيئاً فمنعه؟ ومن الذي طرق بابه فأرجعه؟ ناداه يونس وهو في ظلمات البحر فسمعه، واستجاب لأيوب حينما دعاه يشكو إليه وجعه. سبحانه ما أعلى مكانه وأرفعه، وأعز سلطانه وأمنعه! يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وممن يشاء نزعه فلا راد لقضاءه، ولا معقب لحكمه، ولا مبدل لكلماته، ولا مبعثر لما جمعه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ندَّ له، ولا إله معه. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صفيه من خلقه، وأمينه على ما استودعه. صلى الله عليه وعلى جميع آل بيته، وجميع أصحابه، خصوصاً الخلفاء الأربعة، وعلى من سار على هديه، وامتثل سنته، وعلى جميع من اتبعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها الذين آمنوا، اتقوا الله حق تقاته، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩].

الوفاء مع الله تعالى

أيها المسلمون، ما زلنا وإياكم مع الوفاء وخُلق الوفاء. عرفنا أن صاحب الوفاء الأوفى والأعلى هو الله جل في علاه: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١].

ثم وقفنا مع سيد الأوفياء محمد المصطفى، خاتم المرسلين وإمام الأتقياء.

ما هي أنواع الوفاء وصوره؟

أولاً: الوفاء مع الله، ويكون بثلاثة أشياء:

١. الإيمان به.

٢. إخلاص العمل له.

٣. العمل بأوامره وترك نواهيه.

عبد الله، هل وفيت مع الله كما كان وفيّاً معك؟ عافاك وغيرك مريض، أعطاكَ وغيرك محروم، كساك وغيرك عارٍ، زوَّجك وغيرك عازب، رزقك الذرية وغيرك يتمناها، أمَّنك وغيرك خائف. ألا تستحق هذه النعم الوفاء؟!

يا أيها الإنسان، ما غرَّك؟ ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

انظر إلى وفاء النبي ﷺ مع الله: كان يقوم الليل حتى تتورم قدماه، فتقول له السيدة عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، أما قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيرد عليها بكل وفاء: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا». [رواه البخاري ومسلم].

- الله يقول: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]. هل وفَّينا؟

- الله يقول: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]. هل وفَّينا؟

إياك أن تكون من الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [التوبة: ٧٥-٧٦].

هل وفينا مع الله واتخذنا الشيطان عدواً؟ يقول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ [يس: ٦٠].

ومن ضمن عهودك مع الله: النذر. يقول الله ﷻ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإنسان: ٧]. فلا بد أن تفي بهذا النذر. ولقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أختي نذرت لله أن تحج، وقد ماتت فماذا أفعل؟ فقال النبي ﷺ: «أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أُخْتِكَ دَيْنٌ، أَكُنْتَ قَاضِيَهُ؟» قال: نعم. قال النبي ﷺ: «فَاقْضِ اللَّهَ، فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ». [رواه البخاري: ٦٦٩٩].

الوفاء مع رسول الله ﷺ

ثانياً: الوفاء مع رسول الله ﷺ، ويكون بطاعته، واتباع سنته، واحترام صحابته وآل بيته، والإكثار من الصلاة عليه.

في غزوة أحد، حينما اجتمع الكفار بالمصطفى وأحاطوا به، قال النبي ﷺ: «مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ؟» [رواه مسلم]. فيأتي يزيد بن السكن الشاب الصغير، ويظل يدافع عن النبي ﷺ حتى سقط شهيداً على الأرض. فيقول النبي ﷺ: «ضَعُوا خَدَّهُ عَلَى قَدَمِي»، ثم يرفع النبي ﷺ رأسه إلى السماء فيقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ السَّكَنِ قَدْ وَفَّى».

الوفاء بين الأزواج

ثالثاً: الوفاء بين الأزواج. قال ﷺ: «أَحَقُّ مَا أَوْفَيْتُمْ مِنَ الشُّرُوطِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ». [متفق عليه].

فهل وفيت بالمهر؟ هل وفيت بحسن المعاملة والعشرة؟ إياك ثم إياك أن تضربها، أو تهينها، أو تؤذيها، أو تفتري عليها، أو تمنعها من أن تزور أهلها.

وما أجمل وفاء الرسول ﷺ لزوجه خديجة رضي الله عنها: كان يُكثر ذكرها، ويُكرم صديقاتها، ويقول: «مَا أَبْدَلَنِي اللهُ خَيْرًا مِنْهَا»، وإن حسن العهد من الإيمان.

بكى عمر المختار حين ماتت زوجته، فقالوا له: ما يبكيك؟ قال: كانت ترفع باب الخيمة لأدخل، فأسألها: لِمَ تفعلين ذلك؟ فتقول: لكي لا تنحني لغير الله.

ومن جميل الوفاء: وفاء الزوجة لزوجها بالمبالغة في احترامه وتقديره، والثناء عليه في غيبته، وحفظ ماله وعياله، ومعاشرته بالمعروف.

وحين تنقض الزوجة العهد مع زوجها، وتنسى العشرة والإحسان، تعرض نفسها لدخول النار. فعن عبد الله بن عباس ﷺما قال: قال النبي ﷺ: «أُرِيتُ النَّارَ، فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ». قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ». [متفق عليه].

وهناك من الرجال من يكفر العشير: من قلَّ وفاؤهم لنسائهم، فهو وفي لزوجته ما دامت تقوم على خدمته، محتفظة بجمالها، فإذا ما كبرت وذهب شيء من جمالها، أو ابتليت بداء أو مرض، أو حتى أغضبته في أمر بسيط من أمور الحياة الزوجية، تنكر لها ولما قدمته له، وعاقبها بطلاقها، وقد يستخدم أولادها أداة لزيادة تعذيبها، أو قد يتركها في البيت كشيء مهمل ليس له قيمة، ويبحث عن زوجة صغيرة رشيقة جميلة يقضي معها حياته، ولا يعطي هذه المسكينة حقوقها التي شرعها الله لها، بل قد ينساها هي وأولادها. وهذا عين الظلم.

رابعًا: الوفاء بين الأصدقاء.

كان المصطفى ﷺ يذكر فضل صاحبه وصديقه أبي بكر ﷺ، ومواقفه الطيبة معه، فيقول: «مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَأْنَاهُ، مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِئُهُ اللهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِي مَالُ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ». [رواه البخاري].

فبعض الناس يكون له صديق إما في تجارة، أو دراسة، أو في عمل، أو غير ذلك، فإذا ارتفع في دنياه إما بحصوله على منصب عالٍ، أو أصبح من أصحاب الأموال الطائلة، ترفَّع عن أصدقائه، ونسي العيش والملح، وكأنه لا يعرفهم قبل ذلك. وهذا ليس من الوفاء، وليس من شيم الرجال!

وَفَاءُ الْعَهْدِ مِنْ شِيَمِ الْكِرَامِ * وَنَقْضُ الْعَهْدِ مِنْ شِيَمِ اللِّئَامِ

هناك صديقان يمشيان في الصحراء، خلال الرحلة تجادل الصديقان، فضرب أحدهما الآخر على وجهه. الرجل الذي ضُرب على وجهه تألم دون أن ينطق بكلمة واحدة؛ فكتب على الرمال: "اليوم أعز أصدقائي ضربني على وجهي".

استمر الصديقان في مشيهما إلى أن وجدوا واحة ماء، فقرروا أن يستحموا.

الرجل الذي ضُرب على وجهه علقت قدمه في الرمال المتحركة وبدأ في الغرق، ولكن صديقه أمسكه وأنقذه من الغرق. وبعد أن نجا الصديق من الموت، قام وكتب على قطعة من الصخر: "اليوم أعز أصدقائي أنقذ حياتي".

الصديق الذي ضرب صديقه وأنقذه من الموت سأله: لماذا في المرة الأولى عندما ضربتك كتبت على الرمال، والآن عندما أنقذتك كتبت على الصخرة؟! فأجاب صديقه: "عندما يؤذينا أحد، علينا أن نكتب ما فعله على الرمال؛ حيث رياح التسامح يمكن لها أن تمحيها، ولكن عندما يصنع أحد معنا معروفاً، فعلينا أن نكتب ما فعل معنا على الصخر؛ حيث لا يوجد أي نوع من الرياح يمكن أن يمحوه".

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

ومن أنواع الوفاء

الوفاء للوالدين

خامساً: كيف لا نكون أوفياء مع الوالدين، وهما السبب في وجودنا بعد الله، وأرحم الناس بنا، وأقرب الناس إلينا؟ يشقيان في هذه الحياة لنسعد، ويتعبان لنستريح، ويجوعان لنشبع.

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾ [الإسراء: ٢٣].

عباد الله، اعلموا أن الجزاء من جنس العمل في الوفاء والبر والعقوق؛ فمن بر والديه بره أبناؤه، ومن عق والديه عقه أبناؤه؛ فكما تدين تدان. اسألوا من يتحسر بعد فقد والديه، ويقول في نفسه: "لو أن لي كَرَّةً فأُقَبِّل رِجْلَ أُمِّي، أو أخدم أبي".

ويزيد هذا التحسر إذا كان مُفَرِّطًا في حقهما فيما مضى، ثم ندم وتاب بعد رحيلهما. فمن الوفاء أن لا تنسى الوالدين في حياتهما وبعد موتهما.

رُوي عن سعد بن عبادة ﷺ، أن أمه ماتت، فقال: يا رسول الله، إن أمي ماتت فأتصدق عنها؟ قال: «نَعَمْ». قال: فأي الصدقة أفضل؟ قال: «سَقْيُ الْمَاءِ». فحفر بئراً وقال: هذه لأم سعد. [رواه أبو داود والنسائي].

الوفاء للوطن

سادساً: الوفاء للوطن الذي نعيش فيه، وذلك بالحفاظ على معالمه وآثاره ومنشآته، وعدم الإفساد في أرضه أو تخريبه، والدفاع عن أراضيه. وإخواننا في غزة وفلسطين يقاتلون ويدافعون عن دينهم وأرضهم وعرضهم، ومن قُتل دون ذلك فهو شهيد!

رُوي عن الأصمعي أنه قال: "إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ووفاء عهده، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من زمانه". [الآداب الشرعية لابن مفلح].

ولنا الأسوة في نبينا ﷺ ووفائه لوطنه مكة التي تربى على أرضها؛ فقال وهو يودعها وفاءً لها: «وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ».

[رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح].

الوفاء في الكيل والميزان

سابعاً: الوفاء بالكيل والميزان.

فالمسلم يفي بالوزن، ولا ينقصه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [هود: ٨٥].

فمن غش في بيعه وشراءه وسلعته، فليس من الإسلام في شيء.

قال ﷺ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا». [رواه مسلم].

الوفاء لأهل العلم والمعلمين

ثامناً: الوفاء لأهل العلم عموماً، ومعلميك خصوصاً، بالسؤال عنهم، وتقبيل رؤوسهم، والسعي في حاجاتهم، والدعاء لهم، وذكر محاسنهم، والذب عن أعراضهم.

الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى يقول: "ما مددت قدمي تجاه بيت حماد -شيخه- وإن بيني وبينه سبع سكك؛ إجلالاً له". وقال: "والله ما صليت صلاة منذ أن مات حماد إلا ودعوت له مع والدي؛ براً بشيخي".

وكذا الإمام أحمد يقول: "ما بتُّ ليلة منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي وأستغفر له".

قُمْ لِلْمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجِيلَا * كَادَ الْمُعَلِّمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولَا

أَعَلِمْتَ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلَّ مِنَ الَّذِي * يَبْنِي وَيُنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُولَا

الوفاء في الدين

تاسعاً: الوفاء بالدين.

الشهيد يُغفر له كل شيء إلا الدين. يقول النبي ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ اسْتَدَانَ دَيْنًا لَا يُرِيدُ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى صَاحِبِهِ حَقَّهُ، فَمَاتَ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَارِقًا». [رواه الطبراني، وصححه الألباني].

وقال له النبي ﷺ وهو يرد ديناً: «بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ الْوَفَاءُ وَالْحَمْدُ». [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

الوفاء بالوعد

عاشراً: الوفاء بالوعد.

فالمسلم يفي بوعده ولا يخلفه؛ لأنه يعلم أن إخلاف الوعد من صفات المنافقين. قال الرسول ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ». [متفق عليه].

ولقد وصف الله إسماعيل عليه السلام بقوله: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤﴾ [مريم: ٥٤].

أيها المؤمنون، يُروى أنه أتى شابَّان إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في مجلسه، وهما يقودان رجلاً من البادية، فأوقفوه أمامه. قال عمر: ما هذا؟ قالا: يا أمير المؤمنين، هذا قتل أبانا. قال: أقتلت أباهم؟ قال: نعم قتلته.

قال: كيف قتلته؟ قال: دخل بجمله في أرضي، فزجرته فلم ينزجر، فأرسلت عليه حجراً وقع على رأسه فمات. قال عمر: النفس بالنفس، لا بد أن تُقتل كما قتلت أباهما.

وانظروا إلى سيدنا عمر: لم يسأل عن أسرة هذا الرجل، هل هو من قبيلة قويَّة أو ضعيفة؟ هل هو من أسرة غنية أم فقيرة؟ كل هذا لا يهم عمر ﷺ، لأنه لا يُجامِل أحداً على حساب شرع الله، ولو كان ابنه القاتل لاقتصَّ منه.

قال الرجل: يا أمير المؤمنين، أسألك بالذي رفع السماء بلا عمد أن تتركني ليلة؛ لأذهب إلى زوجتي وأطفالي في البادية، فأُخبِرهم بأنك سوف تقتلني ثم أعود إليك، والله ليس لهم عائل إلا الله ثم أنا. قال عمر: من يكفلك أن تذهب إلى البادية ثم تعود إليَّ؟ فسكت الناس جميعاً؛ إنهم لا يعرفون اسمه ولا داره ولا قبيلته، فكيف يكفلونه؟ وهي كفالة ليست على مائة دينار، ولا على عقار، ولا على ناقة، إنها كفالة على الرقبة أن تُقطع بالسيف.

فسكت الناس وعمر متأثر؛ لأنه وقع في حيرة: هل يقدم فيقتل هذا الرجل وأطفاله يموتون جوعاً هناك؟ أو يتركه فيذهب بلا كفالة فيضيع دم المقتول؟ وسكت الناس ونكَّس عمر رأسه، والتفت إلى الشابَّين: أتعفوان عنه؟ قالا: لا، من قتل أبانا لا بد أن يُقتل يا أمير المؤمنين. قال عمر: من يكفل هذا أيها الناس؟ فقام أبو ذر الغفاري بشيبته، وقال: يا أمير المؤمنين، أنا أكفله. قال عمر: هو قَتْل. قال: ولو كان قاتلاً! قال: أتعرفه؟ قال: ما أعرفه.

قال: كيف تكفله؟ قال: رأيت فيه سِمات المؤمنين فعلمت أنه لا يكذب، وسيَفي بعهده إن شاء الله. قال عمر: يا أبا ذر، أتظن أنه لو تأخر بعد ثلاث أني تاركك؟ قال: الله المستعان يا أمير المؤمنين، فذهب الرجل وأعطاه عمر ثلاث ليالٍ، يُهيِّئ فيها نفسه، ويُودع أطفاله وأهله، وينظر في أمرهم بعده، ثم يأتي ليُقتص منه؛ لأنه قتل. وبعد ثلاث ليالٍ لم ينسَ عمر الموعد، وفي العصر نادى في المدينة: الصلاة جامعة. فجاء الشابَّان، واجتمع الناس، وأتى أبو ذر وجلس أمام عمر. قال عمر: أين الرجل؟ قال: ما أدري يا أمير المؤمنين! وتلفَّت أبو ذر إلى الشمس، وكأنها تمرُّ سريعة على غير عادتها. وقبل الغروب بلحظات، إذا بالرجل يأتي، فكبَّر عمر وكبَّر المسلمون معه. فقال عمر: أيها الرجل، أما إنك لو بقيت في باديتك ما شعرنا بك وما عرفنا مكانك، قال: يا أمير المؤمنين، والله ما عليَّ منك ولكن عليَّ من الذي يعلم السر وأخفى. ها أنا يا أمير المؤمنين، تركت أطفالي كفراخ الطير لا ماء ولا شجر في البادية، وجئتُ لأُقتل، وخشيت أن يُقال: لقد ذهب الوفاء بالعهد من الناس.

فسأل عمر بن الخطاب أبا ذر: لماذا ضمنته؟ فقال أبو ذر: خشيت أن يُقال: لقد ذهب الخير من الناس. فوقف عمر وقال للشابَّين: ماذا تَرَيان؟ قالا وهما يبكيان: عفونا عنه يا أمير المؤمنين لصدقه ووفائه بالعهد، وقالوا: نخشى أن يُقال: لقد ذهب العفو من الناس. قال عمر: الله أكبر، ودموعه تسيل على لحيته.

أيها المسلمون، إن أمتنا أمة الوفاء، فخلق الوفاء دين نتعبد الله به. فالأمم بالأخلاق ما بقيت، فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا.

أين الوفاء يا أمة الوفاء، وإخواننا في غزة يموتون من الجوع، في وقت يموت إخوانهم من التخمة؟ فأين الوفاء؟ وأين الحمية؟ وأين النجدة؟ وأين الإسلام؟

اللهم اجعلنا من الموفين بعهودهم، الصادقين في وعودهم، الأمناء في أماناتهم.

اللهم ارزقنا الوفاء في القول والعمل، والصدق في السر والعلن.

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية، محمد بن عبد الله، صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

اللهم صلِّ وسلم على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

مواطن الندم والحسرة في الدنيا والآخرة

الحمد لله الغفور الودود، الكريم المقصود، الملك المعبود، المتعال عن الأمثال والأشكال والجهات والحدود، لا يخفى عليه دبيب النملة السوداء في الليالي السود.

وأشهد أن لا إله إلا الله، نُعطِّر بها أفواهنا، ونذكر بها ربنا، ونختم بها أعمارنا، ونُدخل بها قبورنا، ونلقى بها ربنا.

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الْفُؤَادِ وَيَسْمَعُ * أَنْتَ الْمُعَدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ أَنْتَ الْوَاحِدُ * كُلُّ الْوُجُودِ عَلَى وُجُودِكَ شَاهِدُ

يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ أَنْتَ الْمُرْتَجَى * وَإِلَى عُلَاكَ عَلَا الْجَبِينُ السَّاجِدُ

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه.

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، وتمسك بسنته، واقتدى بهديه إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فهي جماع الخير، وسبب النجاة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

ما هو الندم؟ وأنواعه في الدنيا والآخرة

أيها الإخوة المؤمنون، عباد الله، دعوني أبدأ بسؤال لكل واحد منا، أخي الحبيب: هل مرَّ عليك يوم ندمت فيه على شيء فعلته، أو قول قلته، أو قرار اتخذته، ثم قلت: ليتني لم أفعل ذلك الفعل؟

ليتني لم أقل تلك الكلمة...

ليتني لم أتخذ ذلك القرار...

ليتني استغللت تلك الفرصة قبل أن تضيع؟

هذا الندم الذي يُوجِع القلوب في الدنيا، هذا ندم الدنيا... ندم يمكن مراجعته أحياناً، ولكنه يترك في القلب غُصَّة.

ولكن، هل فكرنا يوماً في الندم الأكبر؟ الندم الذي لا توبة بعده ولا رجوع؟

يوم يقف الإنسان بين يدي ربه، وتُعرَض عليه صحيفته، فيرى ما قدمت يداه، ويصرخ من أعماق قلبه صرخة أبدية: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾ [الفجر: ٢٤].

سنعيش وإياكم مع ساعات ومواطن الندم في الدنيا والآخرة، وكيف نتقيها في دنيانا قبل أن نلقاها في آخرتنا؟ وكيف نجعل دنيانا وآخرتنا خاليتين من الحسرات والندمات؟

عباد الله، أول ساعة من ساعات الندم: الندم قبل الممات، الندم قبل الفوات. يتذكر العبد معاصيه وذنوبه، وتفريطه في طاعة الله. وهذا من توفيق الله للعبد أن يوفق للندم والتوبة قبل الممات.

قال ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه ابن ماجه: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ». [صححه الألباني].

قد تكون موعظة مؤثرة سمعها العبد، وكان يأكل مال اليتيم، فيتوب ويعيد الحقوق إلى أهلها. وقد يجلس الإنسان مع نفسه يتذكر معاصيه، يتذكر يوم أن جلس مع صديق السوء، وساعة السوء، ونظرة السوء، ثم يتذكر عفو الله عليه، وإمهال الله له، فيخاف مفاجأة الموت فيبكي.

قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١].

ساعة ندم الصالحين على فوات الطاعة

الساعة الثانية من ساعات الندم: ندم الصالحين على فوات الطاعة. فقد كان السلف رحمهم الله يتوجّعون لفوات لحظة طاعة، كما نتوجع نحن لفوات الدنيا!

كان إذا فاتت أحدهم تكبيرة الإحرام مع الإمام بكى وقال: "هذه المصيبة أعظم من الدنيا وما فيها".

وهذا ابن مسعود ﷺ يقول: "ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي ولم يزدد عملي".

وذكر الله أقواماً بكوا لأنهم لم يتمكنوا من الجهاد مع النبي ﷺ لقلة ذات اليد، فقال عنهم: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة: ٩٢].

ساعة الاحتضار (ندم لا ينفع)

الساعة الثالثة من ساعات الندم -أيها الإخوة-: ساعة كلنا مقبلون عليها، وكل منا سوف يأتيها، الصالح والفاجر، والملك والفقير. ما هي هذه الساعة؟

إنها ساعة الاحتضار. يا لله، ما أشدها من ساعة! ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ [القيامة: ٢٩-٣٠]. ساعة مغادرة هذه الدنيا، ساعة لا ينفع فيها ندم، ولا يجدي فيها حسرة.

ساعة تصغر فيها الدنيا، ويتذكر فيها الإنسان شريط ذكريات حياته. خمسون، ستون، سبعون سنة تمر عليه لحظاتها، فإذا مرت عليه ساعة معصية، ساعة حرام، صلاة فرط فيها، أمانة خانها، أرحام ما وصلها... حينئذ يندم ويتحسر: ليتني ما فعلت، ليتني ما فرطت.

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: من أطلق نفسه في شهواتها، نزل به من الندم وقت الموت أضعاف ما تلذذ بالمعاصي، ولقي من مرير الحسرات ما لا يقاومه ولا ذرة من كل لذة!

قال الله تعالى عن هذه الساعة: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦﴾ [القيامة: ٢٦].

يا لها من ساعة لا تشبهها ساعة، يجتمع فيها شدة الموت مع حسرة الفوت.

في ساعة الاحتضار تريد الروح أن تخرج، فتنطلق تلك الصرخة: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٠٠﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

ساعة يتذكر فيها الإنسان سعيه في الدنيا وجمعه المال من هنا وهناك، وها هو يتركه كله. فما أعظمها من ساعة ندم وحسرة؛ لأنه لم ينفق في سبيل الله، ولم يقدم لهذه الساعة. ولهذا من أمنياته أن يتصدق: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠﴾ [المنافقون: ١٠].

ندم القبر والعذاب

رابعاً: ساعة يوضع الإنسان في قبره، تلك الحفرة الصغيرة، تختلف من حيث النور والظلام، والضيق والسعة على حسب عملك الصالح. فيأتي العاصي والمفرط رجل عليه سيماء الشر والرعب، فيقول: من أنت؟ فوجهك يأتي بالشر. قال: أنا عملك السيء. أنا صلاتك التي قطعتها، أنا أكلك للحرام، أنا عقوق الوالدين، أنا قطيعتك الرحم، أنا كلماتك الخبيثة.

فهنا حسرة وندامة لا تنفع، يتمنى لو أنه قدم لهذا الموقف.

يومئذ يتذكر الإنسان، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [الغاشية: ٢١].

يوم الحسرة والبعث

خامساً: يوم يكون العبد في قبره معذباً، وفي لحظة من اللحظات ينشق عنه القبر، فإذا به؟ يسمع صوت السماء وهي تنشق وتنفطر، ينظر إلى الكواكب وهي تتناثر. يخرج من قبره فينظر إلى البحار قد انفجرت. ما بال الناس ينفضون عن وجوههم التراب؟ يقول إن كان مفرطاً: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [يس: ٥٢]. يصرخ: يا ويلنا ماذا فعلنا في الدنيا؟! فيقول الصالحون لهم: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [يس: ٥٢].

سادساً: ذلك اليوم الذي سمّاه الله يوم الحسرة. ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم: ٣٩]. يرى الناس جهنم وهي تُجر، لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرّونها. يقول كل نبي: نفسي نفسي. فماذا يقول المذنبون؟ اسمع ماذا يقول الله: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [الفجر: ٢١-٢٣].

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: إذا انشقت السماوات، وبرُزت النيران، وأُزلفت الجنان، ندم العاصي على ما عمل من العصيان، وعلى ما فرط فيه من طاعة الرحمن.

قال الله جل وعلا: ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ [سبأ: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام: ٢٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

ومن صور من الندم والحسرة يوم القيامة

في تلك الساعة يعضّون أصابعهم من الندم على عدم اتباع الرسول وسنته وشريعته: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفرقان: ٢٧].

ندم وحسرة على صحبة سوء ضيّعت عليه عمره ودينه وحياته، وقادته إلى الرذيلة والحرام.

يصرخ: ﴿يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٨-٢٩].

ندم وحسرة على أموال جُمعت من وجوه الحرام؛ ربا ورشوة وغش وغصب وسرقة واحتيال وغيرها، فيرثه غيره فيعمل فيها بطاعة الله، فيكون وزره عليه وأجره لغيره؟!

ندم وحسرة على التفريط في طاعة الله، فيقول المفرط: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُّ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦﴾ [الزمر: ٥٦]. يا حسرتاه على صلاة ضيّعتها وأخّرتها.

إنها زفرات وحسرات وأمنيات، ولكن في وقت لا ينفع فيه الندم.

الحسرة والندم على أعمال صالحة كان الأمل بعد الله عليها، ولكنها ذهبت في ذلك اليوم العصيب إلى من تعدّيت حدود الله فيهم؛ فظلمتهم في مال أو دم أو عِرْض، فكنت مفلساً حقاً: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ١١١﴾ [طه: ١١١]. فيأخذ هذا من حسناتك، وهذا من حسناتك، وهذا من حسناتك، ثم تفنى الحسنات، فيُطرح عليك من سيئاتهم، ثم تُطرح في النار. أجارنا الله وإياكم منها.

ومن صور الندم والحسرة يوم القيامة:

حسرة من ترك قراءة سورة البقرة: فإذا عاين البركة والخير والأجر العميم فيها لو كان قرأها وتدبرها وانتفع بها فيها؛ فإنه يتحسر ولا ساعة مندم! يقول عليه الصلاة والسلام: «اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ». [رواه مسلم].

حسرة أصحاب المجالس التي تخلو من ذكر الله والصلاة على رسوله ﷺ: يقول عليه الصلاة والسلام: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِثَوَابِهِمْ». [رواه الترمذي وأحمد، وصححه الألباني].

حسرة من حرص على الإمارة والمنصب والقيادة والمكانة، ثم لم يؤد حقها: يقول عليه الصلاة والسلام: «إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ، وَإِنَّهَا سَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَنِعْمَ الْمُرْضِعَةُ وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ». [رواه البخاري ومسلم].

حسرة الظلمة وأعوانهم: يوم يعلمون فداحة جريمتهم في تنفيذ رغبات الظالمين، وعندها لسادتهم يقولون: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾﴾ [غافر: ٤٧]. فإذا بالسادة أذلة قد عنت وجوههم للحي القيوم، لا يملكون لأنفسهم شيئاً ولا يستطيعون. يقولون: ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر: ٤٨].

عباد الله، إن الإنسان لو تذكر عظمة الله تعالى، وتذكر نعم الله تعالى عليه، ما تجرأ على المعصية، بل لندم وسارع بالتوبة.

إن الإنسان لو علم سخط الله تعالى على العاصي، وعلم بشؤم المعصية وما تجلبه من فتن وبلاء، لندم وسارع بالتوبة.

إن الإنسان لو علم بفرحة الله تعالى بعبده الذي يعود إليه، وعلم المصير الذي ينتظره لو مات على معصية ربه، لندم وسارع بالتوبة.

إن الإنسان لو علم بالنعيم الذي أعدّه الله تعالى للتائبين، لندم وسارع بالتوبة.

اللهم إنا نسألك قبل الموت توبة، وعند الموت شهادة، وبعد الموت جنة ونعيماً.

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

.هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية، محمد بن عبد الله، صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

اللهم صلِّ وسلم على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

المغضوب عليهم في القرآن والسنة

الحمد لله الذي علا وقهر، وعز واقتدر، وفطر الكائنات بقدرته فظهرت فيها أدلة وحدانية من فطر، فسبحانه من إله عظيم لا يماثل ولا يضاهى ولا يدركه بصر، وتعالى من قادر محيط لا تنجي منه قوة ولا مفر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، على رغم أنف من جحد به وكفر، شهادة نرجو بها النجاة من نار لا تبقي ولا تذر.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، سيد البشر، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه السادة الغر، الذين جاهدوا في الله حق جهاده، فما وهى عزم أحدهم ولا فتر.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله ومراقبته وخشيته، فطاعة الله فيها السلامة والنجاة، وفيها الرفعة والعزة. وإياكم والمعاصي، فإنها توجب أليم العقاب ووبيل العذاب.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩ ﴾ [الأنفال:٢٩]

غضب الله.. حقيقة لا تُنكر

عباد الله، ربنا تعالى حليم كريم، رحيم ودود، رحمته وسعت كل شيء. لكنه سبحانه إذا غضب على شيء، فإن غضبه يكون شديداً. قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢ ﴾ [البروج: ١٢]. وعذابه يكون أليماً، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠ ﴾ [الحجر: ٥٠].

وإذا غضب الله على عبد، فسيغضب عليه كل شيء: حجر وشجر وبشر.

عباد الله، إذا أسرف الناس في الظلم والفجور والمعاصي، نزل بهم عذاب الله وغضبه، وحل بهم بطشه وعقابه. هذه سنة كونية سارية نافذة، لا تتغير ولا تتبدل على مر العصور والأجيال. فقد يكون العذاب طوفاناً يغمر الناس، أو زلزالاً يزلزل الأرض، أو جفافاً، أو أعاصير، أو صواعق، أو أمراضاً جسدية أو روحية، أو حروباً وقلقاً، أو تفرقاً وتمزقاً.

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠].

فهذه المصائب: للمؤمن كفارة، ورفعة، وتطهير، وشهادة. وللعاصي والكافر: عذاب وعقاب.

ثلاثة عشر صنفاً من المغضوب عليهم

أيها المؤمنون، هناك ثلاثة عشر صنفاً من المغضوب عليهم في صف المسلمين، فلنحذر أن نكون منهم. نسأل الله العظيم أن يرضى عنا وإياكم، وأن يصرف عنا غضبه وسخطه.

المؤمن همه رضا الله عنه، ويخاف من سخط الله وغضبه. رسول الله حبيب الله، يخرج إلى الطائف، يلقى ما يلقى، ويُرمى بالحجارة، ويسيل الدم، فيرفع يديه إلى الملك الجليل:

«يَا رَبِّ، إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ، فَلَا أُبَالِي».

الصنف الأول: قاتل النفس المحرمة

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء: ٩٣].

انتبه أن تسفك دماً حراماً بأي سبب، فما يزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً.

الصنف الثاني: المرتد عن دين الله

فالارتداد عن دين الله، والكفر بشريعة الله دون إكراه، سبب من الأسباب الجالبة لغضب الله ﷻ. قال سبحانه: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النحل: ١٠٦].

الصنف الثالث: الزوجة التي تُلاعَن إن كان زوجها صادقًا

الزوجة التي اتهمها زوجها أنها ارتكبت الفاحشة، وأنكرت ذلك، وحلفت بالله العظيم أربع مرات أنها لم تفعل، وزوجها يفتري عليها الكذب، ثم في الخامسة ينزل عليها غضب من ربها إن كان زوجها صادقاً. قال الله ﷻ: ﴿ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [النور: ٨-٩].

نعوذ بالله من غضبه، فعذاب الدنيا وفضيحتها أهون من عذاب وفضيحة الآخرة. اللهم استرنا فوق الأرض وتحت الأرض.

الصنف الرابع: الصادّ عن دين الله

ذلك الذي يُسخّر جهده ووقته للصد عن دين الله، وإبعاد المسلمين عن دينهم وعن سنة نبيهم، ويُسخّر أمواله للتشكيك في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والطعن في الصحابة الكرام، وسيّر لسانه وقلمه للنيل من علماء الأمة وفقهائها ودعاتها.

هذا عرّض نفسه لغضب الجبار ﷻ.

وفي هؤلاء يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ١٦﴾ [الشورى: ١٦].

الصنف الخامس: المنافقون (الطابور الخامس)

المنافقون الذين ينخرون في صف المسلمين من الداخل، وهم أخطر من الكفار. آلاف الأيتام يبحثون عن من يكفلهم في فلسطين، وواحد من المنافقين من دولة عربية يكفل يتيمين يهوديين!

معبر رفح مصدر تنفس غزة، يتحكم فيه الأشقاء، ويفعلون في أهل غزة أعظم مما يفعله الصهاينة. لا إله إلا الله، وظلم ذوي القربى أشد مضاضة من وقع الحسام المهند قال سبحانه: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٦﴾

[الفتح: ٦].

الصنف السادس: المتكبر على الخلق

قال ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَتَبَخْتَرُ بَيْنَ بُرْدَيْنِ، فَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ، فَأَمَرَ الْأَرْضَ فَبَلَعَتْهُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَيَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». [رواه أحمد، وصححه الألباني].

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَتَعَاظَمُ» -أي: يتكبر- «فِي نَفْسِهِ، وَيَخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ، إِلَّا لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ». [رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني].

الصنف السابع: الحالف كذبًا ليقطع مال امرئ مسلم

كما قال النبي ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ». [رواه البخاري ومسلم].

الصنف الثامن: المرأة التي تمتنع عن فراش زوجها

لقول النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ، إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا، حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا». [رواه البخاري ومسلم].

الصنف التاسع: موالاة الكفار من دون المؤمنين

الذي يقدم اليهود والنصارى على إخوانه المسلمين، بل يدعم الصهاينة بما استطاع ليقتلوا إخوانه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ١٣﴾ [الممتحنة: ١٣].

وإنما غضب عليهم لكفرهم، وهذا شامل لجميع أنواع الكفر وأصناف الكفار.

الصنف العاشر: الظالم للناس، المغتصب لأموالهم، المؤذي لهم

كما في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُوشِكُ إِنْ طَالَتْ بِكَ مُدَّةٌ أَنْ تَرَى قَوْمًا فِي أَيْدِيهِمْ مِثْلُ أَذْنَابِ الْبَقَرِ، يَغْدُونَ فِي غَضَبِ اللَّهِ، وَيَرُوحُونَ فِي سَخَطِ اللَّهِ». [رواه مسلم].

وعن وائل بن حجر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ غَصَبَ رَجُلًا أَرْضًا ظُلْمًا، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ». [رواه الطبراني، وصححه الألباني].

انتبه من المال الحرام. قال تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِي وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ٨١﴾ [طه: ٨١].

أخي الحبيب، انتبه واحذر أن تعين أحداً -قريباً أو حبيباً أو غريباً- على ظلم وجور. عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ مَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ بِظُلْمٍ، أَوْ يُعِينُ عَلَى ظُلْمٍ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ». [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

وفي رواية: «مَنْ أَعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ بِظُلْمٍ، فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ».

الصنف الحادي عشر: صاحب اللسان الذي يتكلم بالحرام

من غيبة ونميمة وهتك أعراض الناس. ففي مسند الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه بسند صحيح عن بلال بن الحارث المزني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ». [رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم الجليل، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبينا محمداً ﷺ الداعي إلى رضوانه. اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد ..

ومن المغضوب عليهم

الصنف الثاني عشر: العاق لوالديه

مما يُغضب الله: سخط الوالدين وعصيان الوالدين. فرضا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين.

الصنف الثالث عشر: الفار من الزحف في القتال

فهي خيانة تؤدي إلى الهزيمة، وعدم يقين بحصول الحسنيين: النصر أو الشهادة. قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنفال: ١٦].

أيها الكرام، من الناس من يُغضب الخالق والرازق الجبار، ويُرضي فلاناً وعلّاناً.

- من الناس من يفعل شيئاً ممنوعاً أو محرماً لكي يرضي مسؤوله في العمل، أو يُرضي زوجته.

- من الناس من يعصي أمه ويُرضي زوجته، ومنهم من يُرضي أمه ويظلم زوجته.

- يعصون الله، ويعظّمون المخلوق، يرفعونه إلى منزلة الخالق من أجل منصب أو جاه أو مال.

هؤلاء الناس الذين يحاولون أن يرضوهم، هم أنفسهم سيغضبون عليه. هذا ليس كلامي، هذا كلام المصطفى ﷺ، قال: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ، سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ». [رواه الترمذي وابن حبان، وصححه الألباني].

ارضِ الله وكفى، ولله در رابعة العدوية حين قالت:

فَلَيْتَكَ تَحْلُو وَالْحَيَاةُ مُرَّةٌ * وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالْأَنَامُ غِضَابُ

وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ * وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابُ

إِذَا صَحَّ مِنْكَ الْوُدُّ فَالْكُلُّ هَيِّنٌ * وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ

عباد الله ، الله قد يغضب على العبد، إلا أنه يمهله، يحلم عليه. مع أن حقه سبحانه يقتص ممن عصاه فوراً -الآن هذا حقه- إلا أنه يعطيه فرصة. هذه الفرصة تسمى مرحلة الإمهال، لعله يرجع، لعله يعود.

قال يوسف بن الحسين: كنت مع ذي النون المصري على شاطئ غدير، فنظرت إلى عقرب أعظم ما يكون على شط الغدير واقفة. فإذا بضفدع قد خرجت من الغدير، فركبتها العقرب، فجعلت الضفدع تسبح حتى عبرت. فقال ذو النون: إن لهذه العقرب لشأناً، فامض بنا. فجعلنا نتبع أثرها، فإذا رجل نائم سكران، وإذا حية قد جاءت فصعدت من ناحية سرته إلى صدره، وهي تطلب أذنه. فاستحكمت العقرب من الحية، فضربتها فانقلبت وانفسخت، ورجعت العقرب إلى الغدير، فجاءت الضفدع فركبتها فعبرت.

فحرّك ذو النون الرجل النائم، ففتح عينيه، فقال: يا فتى، انظر مما نجاك الله! هذه العقرب جاءت فقتلت هذه الحية التي أرادتك. ثم أنشأ ذو النون يقول:

يَا غَافِلًا وَالْجَلِيلُ يَحْرُسُهُ * مِنْ كُلِّ سُوءٍ يَدِبُّ فِي الظُّلَمِ

كَيْفَ تَنَامُ الْعُيُونُ عَنْ مَلِكٍ * تَأْتِيكَ مِنْهُ فَوَائِدُ النِّعَمِ

فنهض الشاب وقال: «إلهي، هذا فعلك بمن عصاك، فكيف رفقك بمن يطيعك؟» ثم ولى إلى الله تائباً نادماً.

أخي الحبيب، احرص على أن ترضي ربك بكل خير وطاعة. فإذا رضي عنك، أصلح حالك، وبارك في رزقك، وأحسن خاتمتك، وأدخلك جنته.

- لا تغضب فتؤذي خلق الله. أحدهم يسأل رسول الله: دلني على عمل يباعدني عن غضب الله. قال: «لَا تَغْضَبْ». [رواه البخاري].

- أكثر من الصدقة، فقد جاء في الصحيح أن «صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ». [رواه الطبراني، وصححه الألباني].

- أكثر من الاستغفار.

قال سفيان بن عيينة رحمه الله: «غضب الله ﷻ الداء الذي لا دواء له، فاجتنبوا أسباب غضبه». قال الإمام الذهبي رحمه الله: «دواؤه كثرة الاستغفار بالأسحار، والتوبة النصوح». [سير أعلام النبلاء].

وإياك أخي الحبيب: ادع ربك، كلّمه بكل مشاعرك وأحاسيسك، كلّمه من كل قلبك. قل له: يا ربي، لا تغضب علي.. يا رب، ارضَ عني.. يا ربي، ليس لي سواك. قل له: «يَا رَبِّ، إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ، فَلَا أُبَالِي». صدّقني، سيرضى عنك.

اللهم اجعلنا من الذين رضيت عنهم، ورضوا عنك، من الذين خشوك فأطاعوك، وخافوك فعبدوك.

اللهم لا تجعلنا من المغضوب عليهم، ولا من الضالين، ولا من الخاسرين.

هذا، وصلوا -رحمكم الله- على خير البرية وأزكى البشرية، محمد بن عبد الله، صاحب الحوض والشفاعة؛ فقد أمركم الله بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته المسبحة بقدسه، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب:٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وزِد وبارِك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة -أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي- وعن سائر صحابة نبيك محمد ﷺ، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وجودك وكرمك يا أرحم الراحمين.

وقفات في أول جمعة من رمضان

الحمد لله الذي جعل التقوى خير زاد، أحمده سبحانه وأشكره، والشكر حقٌّ واجبٌ له على كل العباد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا نظير ولا أنداد.

وأشهد أن سيدنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله، شفيع الموحِّدين يوم التناد. اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه ذوي البرِّ والتقوى والرشاد.

أما بعد: فيا عباد الله، اتقوا الله، فإنها الزاد ليوم المعاد. ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧]. وراقبوا الله في السر والنجوى، واعلموا أن أجسادكم على النار لا تقوى، وتوبوا إلى الله وأقبلوا إليه، فإليه المنتهى، وإليه الرجعة، وهو الجواد الكريم. ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله: في أول جمعة من رمضان، لنا وقفات وتأملات.

الوقفة الأولى: ما الحكمة من الصيام؟

لو تأملنا آيات الصيام من سورة البقرة، فإن خواتيمها لم تأتِ عبثاً، بل جاءت متدرجة كرحلة قلب: تبين الحكمة من الصيام.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ثم... بعد آية الدعاء مباشرة:

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وكأن الله يأخذك بيدك... خطوة خطوة.

أولاً: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣].

والتقوى عباد الله ليست كلمة تُقال، ولا شعاراً يُرفع، بل هي حياة تُعاش، ومراقبة لله في السر قبل العلن، وثبات عند الفتن، وصدق عند الاختبار.

ورمضان أيها الكرام ليس مجرد أيام معدودة نصومها ثم نعود كما كنا، بل هو مدرسة إيمانية، يُراد بها أن يتغير القلب، ويستقيم السلوك، ويصفو الوجدان.

رمضان هو عبادة تُثمر خلقاً، وطاعة تنعكس أمانة، وصيام يزكي الجوارح قبل البطون. فمن لم ينهه صيامه عن المعصية، ولم يدفعه إلى الصدق والعدل وحسن الخلق، فقد فاته المقصود الأعظم من رمضان.

الصيام يغرس الخوف من الله ومراقبة الله:

تجوع... ولا تأكل.

تعطش... ولا تشرب.

بإمكانك أن تشرب وتأكل ولا يعلم بك من حولك، والسبب؟

لأن الله يراك.

هنا يتربى الضمير، وهنا يتكون الحارس الداخلي. ألم يعلم بأن الله يرى؟

ثانياً: الحكمة الثانية من الصيام: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

في رمضان يذيقك الله الجوع ساعات معدودة، لا ليعذبك، بل ليوقظ قلبك.

تجوع فتتذكر من ينام جائعاً كل يوم، وتشرب الماء عند الإفطار فتشعر بنعمة عظيمة حرمها غيرك.

فإذا حضر الشكر، لان القلب، وتحركت اليد بالصدقة، وخضع اللسان بالحمد.

وهكذا يربيك الصيام على شكر النعمة قبل زوالها، ورحمة الخلق قبل سؤالهم. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣].

ثالثاً وأخيراً: الحكمة الثالثة للصيام بعد آية الدعاء ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

لم يقل: يهتدون... بل يرشدون.

لأن الرشد أعمق: هو أن تعرف الحق، وتحبه، وتسير فيه بثبات.

كم من إنسان عرف الطريق... ثم ضل!

لكن الرشد أن تستقيم البوصلة، وأن تحسن الاختيار، وأن ترى بنور الله.

وكأن الله يقول: من صام، فاتقى، فشكر، ودعا... فلن يضيعه الله، بل يرشده ويوفقه لصالح الأعمال.

رمضان أيها الكرام ليس امتناعاً عن الطعام... بل رحلة إصلاح:

- تقوى تُصلح القلب.

- شكر يُلين النفس ويؤدبها.

- دعاء يفتح السماء.

- رشد يغير الحياة ويهديها.

اللهم اجعلنا من عبادك المتقين الشاكرين الراشدين.

الوقفة الثانية: رمضان.. ميعاد الوحي

عباد الله، إن رمضان ليس مجرد شهر للصيام عن الطعام والشراب، بل هو "ميعاد الوحي" و"صلة الأرض بالسماء".

هل تعلمون أن الله تعالى لم يختر رمضان لنزول القرآن فحسب؟ بل اختاره ليكون وعاءً لكل رسالاته وكتبه.

أخرج الإمام أحمد عن واثلة بن الأسقع ﷺ أن النبي ﷺ قال: «أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَنَزَلَتِ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الزَّبُورُ لِثَمَانِيَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْقُرْآنُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ». [رواه أحمد، وحسنه الألباني].

إنها رسالة في أهمية القرآن في هذا الشهر: تلاوةً وتدبراً وسماعاً. شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن.

تقرب إلى الله بما استطعت، واعلم أنك لن تتقرب إليه بمثل كتابه.

قصة مؤثرة: يقول أحدهم: أم زوجتي كبيرة في السن، وهي أمية لا تقرأ ولا تكتب. ومنذ أن تزوجت ابنتها، وهي في كل رمضان تتصل بأمها هاتفياً لبعد المسافة، وذلك قرابة الساعة الثانية عشرة ليلاً. تقرأ زوجته القرآن كلمة كلمة، وتردد أمها خلفها كلمة كلمة، حتى تُنهي معها جزءاً كاملاً. ويستغرق هذا الجهد قرابة ساعة ونصف من الزمن.

وهذا حالها – ما شاء الله – كل ليلة. وفي ختام التلاوة، تغمر الأم ابنتها بالدعوات الطيبات المباركات، دعوات إذا سمعتها تمنيت أن تكون أنت المدعوَّ لها بها. فإذا جاءت آخر ليلة من رمضان، ختمت زوجته وأمها القرآن كاملاً. ولا أستطيع أن أصف شدة تلك المشاعر الإيمانية، وذلك البكاء، وذلك الفرح العظيم بختم كتاب الله. وكأنك ترى معنى قول الله ﷻ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨]، ماثلاً أمامك واقعاً حياً. أي والله، فبذلك فليفرحوا حق الفرح!

كيف هي بيوتنا في رمضان؟ ما حال بناتنا ونسائنا مع القرآن؟

سبحان الله، مما نتعجب:

- أنتعجب من صبر البنت وإحسانها إلى أمها، في صورة فريدة من البر؟

- أم نتعجب من صبر الأم ومكابدة لتنال أجر تلاوة القرآن، رغم أنها أمية؟

- أم نتعجب من صبر الزوج، وإكرامه لها بوقته، وتشجيعه لزوجته على أن تبر أمها بهذا الأسلوب؟

- أم نتعجب من توفيق الله لهم جميعاً لفعل هذا الخير، والمبادرة إلى عموم الطاعات؟

فالكثير منا يعرف طرق الخير، ولكن القليل من يوفق للعمل بها. اللهم وفقنا لطاعتك، واجعلنا من أهل القرآن.

عباد الله، ليس المقصود من القرآن كثرة الختمات فحسب، وإنما أن يُتلى ليتدبر، ويُقرأ ليعمل به. فآية تحرك القلب، وتوقظ الضمير، وتغير السلوك، خير من صفحات تُقرأ بلا حضور قلب». كان السلف إذا مروا بآية وقفوا عندها، يسألون: ماذا تريد هذه الآية مني؟ فالبركة ليست في عدد الختمات، بل في صدق التدبر وحياة القلب مع كلام الله.

الوقفة الثالثة: ثلاث فضائل لا تُوفق لها إلا في رمضان

أيها الحبيب، ثلاث فضائل لن توفق لها إلا في رمضان:

الأولى: كثرة الأجور والحسنات وتكفير السيئات بلا حساب

فيا أيها المؤمن، بلوغك رمضان نعمة عظيمة ورسالة حب من الله. غيرك مات، غيرك مريض، وأنت عافاك الله. فرصة لتوبة صادقة، وصحيفة تُملأ بالحسنات.

تخيل معي هذا المثال: لو أن ملكاً عظيماً قال لوزيره: "أعطِ كل الناس أجورهم، أما فلان فحسابه عندي أنا". ماذا يعني ذلك؟ يعني إكراماً لا حدود له، وعطاءً لا يتخيله عقل. لأن الله قال: «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ». [رواه البخاري].

الله ﷻ، ملك الملوك، يقول لك: "أجر صيامك عليّ أنا". فماذا أعددت لهذا الصيام؟ هل صامت جوارحك عن الحرام؟ هل صام لسانك عن الغيبة؟ هل صام قلبك عن الغل والحسد؟

الثانية: في رمضان تُفتح أبواب الجنة وتُغلق أبواب النار

فالعجب ممن لا يُقبِل والجنة مفتوحة، ولا يترك الذنب والنار مغلقة! وقد دعا جبريل على من أدرك رمضان ولم يُغفر له، وأمن النبي ﷺ على دعائه. «مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَأَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللهُ». [رواه ابن خزيمة، وصححه الألباني].

الثالثة: في هذا الشهر تُصفد الشياطين

فيسهل الطريق، ولا يبقى بينك وبين الله إلا قلبك. هي أيام تمضي سريعاً... فإن صدقت فيها، صارت طاعة رمضان عادة العمر، وكان رمضان شاهداً لك لا عليك. فاغتنمها قبل أن تُفك القيود، وتعود المعركة من جديد.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم الجليل، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبينا محمداً ﷺ الداعي إلى رضوانه. اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد ..

الوقفة الرابعة: أغلى ثلاث ساعات في اليوم

وانتبه لأغلى وأثمن وأسمى ثلاث ساعات من كل يوم:

الساعة الأولى: بعد صلاة الفجر

وهو وقت مبارك، قال تعالى:

﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ٣٩﴾ [ق: ٣٩].

الساعة الثانية: ساعة الغروب: وهي ساعة مباركة، لا تشغلوا فيها أنفسكم بالحديث عن الدنيا وما فيها، واشغلوا أنفسكم بذكر الله والدعاء. فللصائم عند فطره دعوة لا تُرد.

الساعة الثالثة: ساعة الأسحار: ساعة المناجاة، ساعة القرب من الله.

قال تعالى: ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨﴾ [الذاريات: ١٨].

ثلاث دعوات لا تتركها، تمسك بها طوال الشهر:

الأولى: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»: كان النبي ﷺ يحافظ عليها خمس مرات يومياً.

هذا الدعاء له سرٌّ عجيب في علاج "الفتور"؛ فبمجرد قوله بإحساس، ستعود الروح لعبادتك خلال يومين بإذن الله.

الثانية: «اللَّهُمَّ أَعْتِقْنَا مِنَ النَّارِ»: رمضان هو شهر العتق. ادعُ لنفسك، لوالديك، لأهلك، ولأحبائك: "اللهم اكتبنا من عتقائك من النار".

الثالثة: «اللَّهُمَّ اكْتُبْنَا مِنْ أَهْلِ الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ»: ارفع سقف طموحك! يقول النبي ﷺ: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ». [رواه البخاري].

يا صائمين... اغتنموا الفرصة، فالعمر قصير، والباب مفتوح، والرب كريم.

عباد الله، إن رمضان فرصة لا تعوض، وموسم لا يُفوَّت. فلا تجعلوه أياماً للجوع والعطش فقط، بل اجعلوه رحلة إصلاح للقلب، وتهذيب للنفس، وتزكية للروح.

عيد الأضحى ١٤٤٧هـ

الحمد لله الكبير المتعال، ذي القوة المتين، شديد المحال. الحمد لله عدد قطر الأمطار، والحمد لله عدد ورق الأشجار، والحمد لله عدد ما تعاقب الليل والنهار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد القهار. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المصطفى المختار. صلى الله عليه وعلى آله الأطهار، وصحبه الأخيار، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار.

أما بعد: فيا أيها الناس، أوصيكم ونفسي بتقوى الله وطاعته وخشيته ومراقبته. ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة: ٢٨١].

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

عظمة يوم النحر

عباد الله، يومكم هذا يوم عظيم. قال عنه حبيبكم ونبيكم ﷺ: «أَعْظَمُ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمُ النَّحْرِ، ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ». [صححه الألباني].

ويوم القرِّ هو اليوم الثاني للعيد؛ لأن الحجاج يقرون في منى.

اليوم يوم النحر:

- هو يوم ذكر، لا يوم غفلة.
- هو يوم طاعة، لا يوم معصية.

- هو يوم صدقة، لا يوم إمساك.

- هو يوم صلة وإحسان للأهل والأرحام، لا يوم قطيعة وعدوان.

فلا يدخل الجنة قاطع رحم. ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد: ٢٢].

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله.

يوم الفداء والتضحية

اليوم يوم الفداء، يوم التضحية. نتذكر فيه أبانا إبراهيم عليه السلام، الذي قدم ولده للقربان، وجسده للنيران، وماله للضيفان، فاستحق أن يكون خليل الرحمن. وهكذا يكون العظماء.

من أعظم ما يتقرب به إلى الله في هذا اليوم: ذبح الأضاحي، سنة أبيكم إبراهيم ونبيكم محمد عليهما الصلاة والسلام.

قال ﷺ: «إِنَّ لَكُمْ بِكُلِّ شَعَرَةٍ مِنَ الْأَضْحِيَّةِ حَسَنَةً». قالوا: يا رسول الله، فالصوف؟ قال: «وَبِكُلِّ صُوفَةٍ حَسَنَةٌ». [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ، إِنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلَافِهَا، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مِنَ الْأَرْضِ، فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا». [رواه الترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني].

ومن لم يقدر على الأضحية فقد ضحى عنه النبي ﷺ، جزاه الله عن أمته خير الجزاء.

﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الحج: ٣٦].

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله.

الصلاة وحفظ اللسان

عباد الله، الصلاة قرة عيون المحبين، ولذة أرواح الموحدين، ومعراج المؤمن. لا طعم للحياة بغيرها، فلا تفرطوا فيها بحال، وأمروا أهلكم بالصلاة. ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢].

واحفظوا ألسنتكم من الغيبة والنميمة، والسب والشتم، وغيره. فأكثر خطايا ابن آدم من لسانه، وأكثر ما يدخل الإنسان النار حصائد ألسنتهم. قال ﷺ: «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ -أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ- فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟».

[رواه الترمذي، وصححه الألباني].

والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله.

أسرار القربى والخفية

عبد الله:

- مرضك الذي لا يعلمه إلا الله، اجعل له صدقة خفية لا يعلمها إلا الله.

- والهمُّ الذي يربض على صدرك ولا يعلمه إلا الله، اجعل له استغفاراً خفياً لا يسمعه إلا الله.

- والقلق الذي يعتريك ولا يعلمه إلا الله، اجعل له ركعتين في الليل لا يراهما إلا الله.

كان ابن القيم رحمه الله يقول: «الخوافي للخوافي» -يعني: الأعمال الخفية تنفع في الأوقات الخفية.

عبد الله، لا يوجد هاتف في القبر لتسهر عليه! صاحب القرآن في حياتك، ليصحبك في مماتك. ولا يذهب يومك من غير قرآن، كي ينفعك في نومك، فنومة القبر طويلة.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله.

عباد الله، الذي يجلب النحس دائماً ليس الحظ، إنما الذنوب المتراكمة والتي نسينا معظمها.

إن المعاصي تزيل النعم. ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله.

عباد الله، زينوا أيامكم بالتكبير، وأحيوا سنة التكبير بعد الصلوات، وفي الأسواق، وفي السيارات، وفي كل مكان. ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٥].

واعلموا أن العيد:

- أن تصل من قطعك.

- وأن تعطي من حرمك.

- وأن تعفو عمن ظلمك.

- وأن تعود إلى جيرانك بالصفاء والحب والبسمة.

قال ﷺ: «وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ». قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ». [متفق عليه].

العيد في الإسلام يعني: تكافلاً، وتراحماً، وتعاطفاً، وإحساناً إلى الفقراء والأيتام. فالصدقة على الأقارب والمحتاجين أفضل من العمرة وحج التطوع. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لأن أعول أهل بيت من المسلمين جمعة أو شهراً، أحب إليَّ من حجة بعد حجة الإسلام».

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

روح الحج ووحدة الأمة

عباد الله ، إن موسم الحج يبعث ويغرس في المسلمين روح الترابط، والاجتماع، والائتلاف. وكيف لا يجتمعون وربهم واحد، ودينهم واحد، ونبيهم واحد، وهم على قبلة واحدة، مناسكهم واحدة، لباسهم واحد، وشعارهم واحد، وتلبية واحدة:

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

تراهم يلبون وقد نسوا كل الهتافات الوطنية، وخلّفوا وراءهم كل الشعارات القومية، ونكّسوا كل الرايات العصبية، ورفعوا راية واحدة، هي راية: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

فاللهم ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

بروا آباءكم يبركم أبناؤكم، ورضا الله من رضا الوالدين، والجنة تحت أقدام الأمهات.

لا تنسوا إخوانكم في غزة وفلسطين من دعواتكم وصدقاتكم، فهم يدافعون عن الأمة جمعاء. والأرض في غزة قد ارتوت بالدماء، والأعين قد جفت من كثرة البكاء، والحنجرة قد بحت من كثرة الدعاء، ولا مغيث لهم إلا أنت يا رب السماء.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم الجليل، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبينا محمداً ﷺ الداعي إلى رضوانه. اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد ..

ثلاث حقائق ووصية ابن عمر

ثلاث أشياء لا تنسها، ثلاث حقائق خليها في بالك، تذكرها دائماً:

١. لا نجاة من الموت.

٢. لا راحة في الدنيا.

٣. لا سلامة من كلام الناس.

كتب رجل إلى ابن عمر رضي الله عنهما أن اكتب إلي بالعلم كله. فكتب إليه: «إن العلم كثير، ولكن إن استطعت أن تلقى الله:

- خفيف الظهر من دماء الناس،
- خميص البطن من أموالهم،
- كافَّ اللسان عن أعراضهم،
- لازماً لأمر جماعتهم،

فافعل». [سير أعلام النبلاء للذهبي: ٥/ ٢١٦].

عبد الله، لا تحسبن صوم يوم عرفة، أو حجك، أو عمرتك، أو صيامك، تكفر المظالم والحقوق. شتمت هذا، واغتبت هذا، وهتكت عرض هذا، وظلمت هذا. حتى اللطمة - ورب الكعبة- لتؤدين الحقوق إلى أهلها.

صح عن النبي ﷺ قوله: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا». فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: «أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَأَحَدٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَأَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ، حَتَّى اللَّطْمَةُ». [رواه أحمد والطبراني، وحسنه الألباني].

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

اللهم تقبل منا ومنكم صالح الأعمال، وتقبل منا الحج والعمرة والأضاحي.

اللهم اجعلنا من عتقائك من النار، ومن أهل الفردوس الأعلى من الجنة.

اللهم انصر إخواننا المستضعفين في غزة وفلسطين، اللهم أغثهم، واشفِ جرحاهم، وارحم موتاهم، وفك أسرهم.

اللهم وحد كلمتنا، وألف بين قلوبنا، واجعلنا من المتقين الشاكرين.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأذل الكفر والكافرين، ودمر أعداء الدين.

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، محمد بن عبد الله، صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

اللهم صلِّ وسلم على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

ختاماً...

انتهى الجزء الثالث عشر من كتاب بستان الخطيب بعون الله وتوفيقه، والله الهادي إلى سواء السبيل.

سيبقى الخط بعدي في الكتاب وتبلى اليد مني في التراب
فيا ليت الذي يقرأ كتابِ دعا لي بالخلاص من الحساب

اللهم أغفر للقارئ والكاتب.

اللهم اجعل هذا العمل صالحاً ولوجهك خالصاً برحمتك يا أرحم الراحمين.

إنك ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه: د. أمين بن محمد المدري
D. AMEER ALMADRY

اليمن – المهرة

Almadari_١@hotmail.com

واتساب/ ٠٠٩٦٧٧٧٠٣٤٣٤٧٠